



يوم الـ١١ يوليو ١٨٨٢

للإئير
عمر طوسون

١٣٥٣ - ١٩٣٣ م

سلسلة دراسات في التاريخ والأدب



الامير محمد طه وولان

سید مرتضیٰ رضا الا صاحب الفز علی الجبل الصنی نبی سکر
وزیر از الامان ے ایسا شمسیت

يوم الـ١١ يوليو ١٨٨٢

لِلْإِثِيرِ
عَمْرَ طُوسُونِ

١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م

مطبعة خزانة الدين بالأسكندرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

يقبل علينا شهر يولييه من كل سنة فيذكرنا باليوم الأسود يوم ١١ منه ذلك اليوم الذي داست فيه انكلترا المعاهدات الدولية وتعلقت بأوهى الأسباب وضربت مدينة الاسكندرية . فاقتربت بذلك سبة الاعتداء على أمة لم يكن بينها وبينها إلا السلام واجترحت اثم التهجم على بلاد لم تناوئها الحرب ولم تبادلها بالعدوان والحصام .

ومن رأينا أنه لايجدنا شيء أكثر من ذكريات تاريخنا وأن الجسد لنا كل الجسد في استثارة دفائن هذا التاريخ والاعتبار بتلك الذكريات حلوها ومرها . فاذا قلبنا صفحاته ورأينا فيها صفحة مجيدة نشرناها لأنها تحيي فينا روح الأمل بمودة ماضينا . وان كانت الأخرى وألفيناها صفحة سوداء لم نطو دونها كمشا ولم نضرب عنها صفحا لأننا لو سترناها وأغضنا الطرف عنها أسينا في عمية ولم نعرف أخطائنا فكان ذلك مدعاة لبقائنا في غفلتنا سادرن وسيا في جهلنا بعللنا الخلقية وأمراضنا الاجتماعية أبد الآبدين .

نعم ضربت انكلترا بمدافع أسطولها حصون مدينة الاسكندرية
وتغلبت عليها وترتب على ذلك ما ترتب من الاحتلال وما جره وراءه
من النتائج الخطيرة التي لا زلنا نعاني شدايدها ونقاسى أهوالها ونكتوى
بنارها . وهذا كله أمر معروف مفروغ منه . ولكن ماهى الأسباب
التي حلتها على هذا العدوان ؟ وما هى الحالة التي كانت عليها حصون
مدينة الاسكندرية ؟ وهل كان فى امكانها مقاومة هذا الاسطول ؟
وهل كانت قوامها متفاوتة ؟ وما مقدار هذا التفاوت ؟ وهل قام
الجيش المصرى المربط فى هذه الحصون بواجبه الوطنى فى الذود عن
البلاد والدفاع عن هذه الحصون حتى النفس الاخير ؟ وهل كان
فى مقدور ساستنا وأولى الراى والأمر فىنا تغيير موقف انكلترا
العدائى ؟ وما الذى حال بينهم وبين هذه السياسة القوية الحكيمة ؟ ثم
على من تقع بعد ذلك تبعه تخريب هذه الحصون وقتل هذه
الانفس العزيزة وضياع البلاد ؟ هذه كلها أمور تمر بخواطر الناس
وخواطر المصريين خاصة ولكنهم لا يجدون عنها جوابا . فأردنا
أن نكتب هذه الرسالة فى هذا الموضوع لندعو بها المصريين
الى تذكر يوم ١١ يولييه سنة ١٨٨٢ حتى يخطر دائما ببالهم
ويمتزج بأنفسهم ويكون نصب أعينهم فى ليالهم ونهارهم . ثم لنجاول
هذه الأمور الغامضة ولنكون على بينة من الأسباب والنتائج
ولنستخلص من كل ذلك العبرة التاريخية لتكون لنا تذكرة
نتنفع بها فى حاضرنا ومستقبلنا وانما يتذكر أولو الالباب ؟

عمر طوسون

حصون مدينة الاسكندرية

١ - من قبل الفتح الاسلامى الى حكم المماليك

كانت مدينة الاسكندرية أوسع رقعة قبل الفتح الاسلامى منها بعد هذا الفتح ، وكانت دائرة أسوارها القديمة المحيطة بها أكبر من دائرة سورها فى حكم العرب .

ذلك أنها كانت عاصمة المملكة المصرية منذ أسسها الاسكندر الأكبر إلى أن فتحها العرب ، لجأت عنها عساكر الرومان وأسرمهم وحكامهم وكثيرون من النازلين بها من طوائف الأمم المختلفة ، خصوصاً بعد أن فتحت الفتح الثانى فى عهد خلافة عثمان ابن عفان رضى الله عنه ، وبعد أن اتخذت مدينة القسطنطين عاصمة للديار المصرية واكتظت بالسكان.

وكانت فى عهدها القديم مدينة منيعة حصينة غاية الحصانة مشهورة بأسوارها العديدة وخنادقها العميقة وأبوابها المحكمة وأبراجها الكثيرة الباذخة وحصونها العديدة الشائعة .

ولقد عانى العرب فى فتحها شدائد وأهوالاً وظلوا فى حصارها ومهاجمتها أربعة عشر شهراً ، يصبحونها ويمسونها بالنارة تلج النارة حتى فتحها الله عليهم ، فهاهم مارأوه فيها من وثيق البنيان وكثرة السكان ، وعظيم الحضارة والعمران ، وفسح الميادين ، وعجيب الملاعب والعمد والأساطين ، وغرائب المباني والقصور ، ووفرة الحوانيت والأسواق

والدور، وروائع المسلات والعمارات والهياكل والكنائس والخانات .
ولما ظنوا أنها دانت لهم اتخذوا بها رابطة وشحنوها بمقاتلتهم،
وعاد الفاتحون مع أميرهم عمرو بن العاص الى داخلية البلاد ،
وتفرقوا في أنحاءهم واتخذوا القسطنطين داراً لآمارتهم . وظلت الحال
على ذلك ردحاً من الزمن .

فلما كانت خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه عزل عنها
عمرا واستعمل عليها بدلا منه عبد الله بن سعد بن ابى السرح فلم يمض على
ولاية هذا ايام حتى ثارت الاسكندرية على حاميتها فقتلوها واستولوا على
مرابطها وكانوا قد كتبوا بذلك الى ملك الروم فأرسل اليهم المقاتلة والامداد
فلكوا المدينة وخرجوا منها لقتال المسلمين والاستيلاء على الريف ثم
على سائر مصر وعند ذلك طلب المسلمون من الخليفة أن يعيد اليها
عمرا لأن له هبة في صدورهم ومعركة بحريهم . فأعاده اليها وعادت
الحرب بينه وبينهم وكانت حرباً شعواء كتب الله النصر فيها للمسلمين وقد
حلف عمرو لأن فتح الله عليه مدينة الاسكندرية ليهيمن حصونها
وأسوارها . فلما فتحها الله عليه برت بقسمه وسواها بالأرض ،
حتى لا تعود تفتنض على المسلمين مرة أخرى ويمتصم مقاتلتها
بأسوارها وحصونها .

وفي هذا الفتح الثاني استحر القنقال بين عمرو والروم
بالقرب من باب السدرة فقتل منهم مقتلة عظيمة ، ولما رأى
القتل قد استحر فيهم أمر برفع السيف عنهم ورحمة بهم ،

وأُسِسَ في هذا المكان مسجداً أسماه (مسجد الرحمة) وهو المسجد المعروف الآن بمسجد العمري عند تقابل شارع أبي الدرداء بشارع الخديو الأول . وكان هذا المسجد أكبر مما هو عليه الآن كثيراً .

ثم في أثناء ولاية أحمد بن طولون على مصر عندما استقل بها في نحو سنة ٢٦٥ هـ (٨٧٨ م) أحاط الاسكندرية بسور جديد خوفاً من غارة عسكر الخليفة عليها . ويقال إن هذا السور هو الذي بقي إلى أن دخلها الفرنسيون كما يقال أيضاً أنه تهدم وأنه بنى ثانياً في أيام حكم المماليك البحرية وأن هذا هو الذي بقي عند مجيء الحملة الفرنسية .

واليك النصوص التي استندنا إليها في هذا الشأن :-

قال ابن عبد الحكم المتوفى سنة ٢٥٧ هـ (٨٧١ م) في كتابه (فتوح مصر ص ٤٢) :-

كانت الاسكندرية ثلاث مدن بعضها الى جنب بعض -
منة وهي موضع المنارة وما والاها ، والاسكندرية وهي موضع
قصة الاسكندرية اليوم ، وبقية . وكان على كل واحدة منهن سور
وسور من خلف ذلك على الثلاث مدن يحيط بهن جميعا -
ثم نقل عن طريف الممندان أنه كان على الاسكندرية سبعة حصون
وسبعة خنادق . ا هـ

وجاء في خطط المقرئى المتوفى سنة ٨٤٥ هـ (١٤٤١ م)
ج ١ فى آخر الكلام على مدينة الاسكندرية مانصه :-

وكان بناء الاسكندرية طبقات وتحتها قناطر مقنطرة
عليها دور المدينة يسير تحتها الفارس ويده ربح لا تضيق به
حتى يدور جميع تلك الأزاج والقناطر التى تحت المدينة . وقد عمل
للك العقود والأزاج مخاريق ومتنفسات للضياء ومنافذ للهواء - إلى أن
قال - وكان عليها سبعة أسوار من أنواع الحجارة المختلفة
الألوان بينها خنادق وبين كل خندق وسور فصول . اهـ

وقال ابن عبد الحكم فى كتابه الآف الذكر ص ٨٠ :

لما هزم الله تبارك وتعالى الروم وفتح الاسكندرية وهرب
الروم فى البر والبحر خلف عمرو بن العاص بالاسكندرية ألف
رجل من أصحابه ومضى عمرو ومن معه فى طلب من هرب من
الروم فى البر . فرجع من كان هرب من الروم فى البحر الى
الاسكندرية قتلوا من كان فيها من المسلمين إلا من هرب
منهم . وبلغ ذلك عمرو بن العاص فكر راجعا ففتحها . اهـ

وهذا النص يتعلق بفتحها الأول .

وجاء فى الصفحة ٨٢ منه :-

وكتب عمرو بن العاص بعد ذلك إلى عمر بن الخطاب
رضى الله عنه - أما بعد ، فانى فتحت مدينة لأصف ما فيها غير

أنى أصبت فيها أربعة آلاف بنية بأربعة آلاف حمام وأربعين ألف يهودى عليهم الجزية واربعائة ملهى للملوك .

وعن أبى قبيلى أن عمرا لما فتح الاسكندرية وجد فيها اثنى عشر ألف بقال يبيعون البقل الأخضر . وعن محمد ابن سعيد الهاشمى قال : ترحل من الاسكندرية فى الليلة التى دخلها عمرو بن العاص أو فى الليلة التى خافوا فيها دخول عمرو سبعون ألف يهودى - إلى أن قال - وكان عدة من بالاسكندرية من الروم مائتى ألف من الرجال فلقق بأرض الروم أهل القوة وركبوا السفن وكان بها مائة مركب من المراكب الكبار فحمل فيها ثلاثون ألفا مع ماقدروا عليه من المال والمتاع والأهل وبقي من بقي من الأسارى ممن بلغ الخراج فأحصى يومئذ ستمائة ألف سوى النساء والصبيان . اهـ

وجاء فى الصفحة ١٣٠ منه :-

لما استقامت للسدين البلاد قطع عمرو بن العاص من أصحابه لرباط الاسكندرية ربع الناس وربع فى السواحل والنصف مقيمون معه . وكان يصير بالاسكندرية خاصة الربع فى الصيف بقدر ستة أشهر ويعقب بعدهم شامية ستة أشهر . وكان لكل عريف قصر ينزل فيه بمن معه من أصحابه واتخذوا فيها أعائذ . اهـ

وجاء فى الصفحتين ١٧٥ و ١٧٦ منه :-

كانت الاسكندرية انتقضت وجاءت الروم عليهم منوئل
الخصي في المراكب حتى أرسوا بالاسكندرية فأجابهم من بها من الروم
ولم يكن المقوقس تحرك ولا نكث . وقد كان عثمان بن عفان
عزل عمرو بن العاص وولى عبد الله بن سعد . فلما نزلت الروم
الاسكندرية سأل أهل مصر عثمان أن يقر عمرا حتى يفرغ من
قتال الروم فان له معركة بالحرب وهيبة في العدو ففعل . وكان
على الاسكندرية سورها خلف عمرو بن العاص لئن أظهره الله عليهم
لهبهم من سورها حتى توتى من كل مكان - إلى أن قال - وقتلهم عمرو حتى أمعن في
مدبثهم فكلّم في ذلك فأمر برفع السيف عنهم وبني في ذلك الموضع الذى
رفع فيه السيف مسجد وهو المسجد الذى بالاسكندرية الذى يقال له مسجد
الرحمة وإنما سمي مسجد الرحمة لرفع عمرو السيف هنالك ، وهدم سورها كله . اهـ

وهذا النص يتعلق بفتحها الثانى .

وقال على باشا مبارك في خطه ج ٧ ص ٤٣ :-

وفى القرن التاسع من الميلاد اعنى بعد فتح مصر
بقرنين أيام خلافة المتوكل وهو العاشر من بنى العباس والثانى
والثلاثون من الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هدم
أحمد بن طولون الأسوار القديمة (١) وبني غيرها فما كان جهة البحر

(١) - لا يتفق هنا مع النص الذى ذكرناه سابقا إلا أن يكون المراد أنه هدم أسوارها لان
أسوارها هدمت على يد عمرو بن العاص بعد انتفاضها وفتحها لفتح الثانى كما ذكره ابن عبد الحكم .

وفى رأينا أن عمرا هدم أسوارها التى كانت تتوق فتحها وهى أسوارها من ناحية البحر وترك
أسوارها البحرية على ما كانت عليه . وذلك يستقيم الكلام هنا ونجا يأتى .

والغرب بقى على ماكان عليه مع بعض تغيير . وأما ماكان من الجهة الشرقية والجهة القبيلة فقد دخل كثيرا لخرب هاتين الجهتين وذكر بعضهم أن ابن طولون انما عمر الاسوار القديمة فقط ثم فى سنة ١٢١٢ م اعترى المدينة والاسوار تخرب فاحش فبنى أحد من تولى على تخت الديار المصرية بعد صلاح الدين أسوارا آخر وهى التى بقيت الى دخول الفرنساوية .

ثم قال :-

وبهذا الانتقال كانت مساحة المدينة فى زمن ابن طولون أقل من نصف مساحتها فى زمن الرومانيين وبقيت على ماوضعها عليه ابن طولون الى زمن دخول الفرنساوية لكنها على حسب الأزمان والأحوال كانت أخذت فى التخرب . وفى سنة ١٧١٨ م بناء على ماذكره مابى قنصل فرنسا فى ذلك الوقت فى وصف اسكندرية كان التخرب قد اعتراها وغير معالمها حتى صار لا يوجد فى مدينة العرب أكثر من مائة بيت وتحول غالب الناس الى ساحل الميناء وبنوا منازلهم فوق الأرض التى حدثت من انحصار البحر فى محل السبع غلوات وهجرت مدينة العرب بالكليّة فكانت خرابا بلقا لا يأوى اليها إلا أشقياء الناس . وتلك البلد التى حدثت ببيت باقراض مدينة الاروام . وعلى هذا كان الخراب ممتدا من مكان مدينة كاتوب (ابو قير) الى باب العرب (بالمكس) على ساحل البحر ، ومن جهة الأرض الى ساحل البحيرة وخليج

اسكندرية . وكان لا يريد عدد أهل البلد الجديد عن أربعة آلاف نفس . ٨١

٢ — في أواخر حكم المماليك الجراكسة

قال خليل بن شاهين الظاهري حاكم الاسكندرية في عهد السلطان الاشرف برسباي من سلاطين دولة المماليك الجراكسة والمتوفى سنة ٨٥٠ هـ (١٤٦٨ م) في كتابه (زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والممالك) ص ٣٩ في الكلام على ثغر الاسكندرية وحصونه ما نصه :-

فصل في ذكر ثغر الاسكندرية

وهو أجل ثغور الاسلام وأعظمه يشتمل على سورين محكين بهما عدة أبراج يحيط بها خندق يطلق فيه الماء من البحر المحيط عند وقت الضرورة وللثغر عدة أبواب محكمة حتى أن على كل باب منها ثلاثة أبواب من حديد وبأعلى الأبراج مناجيق ومكاحل . وفي وقت الضرورة يعلق على كل شرافة قنديل . وهذا الثغر في غابة التحصين وعلى كل برج منه أعلام وطبلخاناه وأبواق وحرسية يشهر ذلك وقت الضرورة . ٨٢

٣ — قبل حكم محمد علي

كانت حصون مدينة الاسكندرية عند قدوم الحملة الفرنسية عبارة عن سور يحيط بها فيه أبراج ومراغل ومراعى للثار وحوله خندق يصل إليه ماء البحر الملح .

وهذا السور كان يسمى سور العرب لأنه بنى فى زمن
حكمهم وهذه حقيقة لاريب فيها لأن دائرة
هذا السور كانت أضيق كثيرا من دائرة مدينة البطالسة
أى الاسكندرية القديمة عند استيلاء العرب عليها .

واليك تخطيط سور العرب المذكور :-

الجهة الشمالية منه

كان السور يتبدى فى هذه الجهة من موقع الباب
رقم (١٠) من أبواب مخازن الجمارك الحالية أمام شارع
البحرية ويمتد فى استدارته إلى ناحية الشرق مسافة
قدرها ٣٤٠ مترا حيث كان يوجد فى نهاية هذه المسافة
منه باب يدعى (باب البحر الغربى) - الباب الأخضر -
وموقعه الآن عند تقابل شارع الطوبجية بشارع الباب
الأخضر . ثم يمتد فى استدارته أيضا إلى ناحية الشرق
مسافة أخرى قدرها ٣٥٠ مترا إلى أن يقطع شارع دانسطاسى .
ثم ينحرف إلى الجنوب قليلا ممتدا مسافة قدرها ١٠٠ متر .
ثم ينكسر متجها إلى ناحية الشمال ممتدا مسافة قدرها ١٥٠ مترا
حتى يصل إلى نقطة موقعها الآن وراء المحكمة المختلطة
بقدر ٦٠ مترا تقريبا . ثم يعتدل مشرقا مسافة قدرها ١٠٠ متر
حيث كان يوجد فى نهاية هذه المسافة منه باب يدعى

(باب البحر الشرق) كان موقعه بالقرب من تقاطع شارعى مسجد المطارين والسيح بنات الآن . ويمتد مسافة أخرى فى هذا الاتجاه قدرها ٢٢٠ مترا حيث موقع البورصة الآن . ثم ينكسر مرة أخرى متجها الى الشمال مسافة قدرها ١٨٠ مترا مخترقا شارع البورصة القديمة الى نقطة تقابله بشارع سعد زغلول . ثم يعود فيعتدل الى ناحية الشرق الشمالى بمتدا مسافة قدرها ٥٨٠ مترا تقريبا حتى يصل الى موقع محطة الرمل الآن . ثم يرجع فينكسر الى ناحية الجنوب بمتدا مسافة قدرها ٣٢٠ مترا غربى شارع المسلة بمقدار ٣٠ مترا ثم يعتدل مرة أخرى الى ناحية الشرق ويكون حينئذ فى شمال شارع السلطان حسين كامل الآن وعلى بعد ٣٠ مترا منه بمتدا مسافة قدرها ١١٠٠ متر حتى يصل الى موضع حدائق البلدية الآن من شارع بلجيكا .

الجهة الشرقية منه

هذه الجهة تبتدىء عند تقاطع شارعى بلجيكا والسلطان حسين كامل فى موضع حدائق البلدية الآن ويتجه السور من هذه الجهة نحو الجنوب بمتدا مسافة قدرها ٢٣٠ مترا تقريبا حيث كان يوجد فى نهاية هذه المسافة منه باب يدعى (باب رشيد) أو الباب الشرقى . ثم يمتد مسافة أخرى فى هذا الاتجاه قدرها ٣٠٠ متر تقريبا حتى يصل إلى موقع شارع الأمير عبد القادر الحالى .

الجهة الجنوبية منه

هذه الجهة من السور كانت تبتدىء من الجهة الشرقية الجنوبية . ثم يمتد السور منها ناحية الغرب مسافة قدرها ١٠٠٠ متر

تقريبا حتى يصل الى موقع محكمة العطارين الجزئية الآن . ثم
يميل إلى ناحية الشمال قليلا بمتدا مسافة ١٠٠ متر حتى يصل الى جنوب
كوم البكة . ثم ينحرف الى ناحية الجنوب قليلا بمتدا مسافة قدرها
٢٧٠ مترا إلى أن يصل إلى موقع محطة مصر القديمة حيث كان يوجد
في نهاية هذه المسافة منه باب يدعى قديما باسم (باب الصوري) ثم
دعى بعد ذلك باسم (الباب الجديد) و (باب محرم بك) . ثم يمتد
مسافة أخرى في هذا الاتجاه قدرها ٣٥٠ مترا إلى أن يصل الى مبتدا
موقع شارع الحديد الأول ثم يعتدل إلى ناحية الغرب بمتدا مسافة قدرها
٣٥٠ مترا في امتداد شارع الحديد الأول حيث كان يوجد في نهاية
هذه المسافة منه باب يدعى (باب سدره) أو (باب العمود) وموقعه
الآن عند تقاطع شارعى عمود السوارى والحديد الأول . ثم يمتد في
هذا الاتجاه مسافة أخرى قدرها ٩٧٠ مترا إلى أن يصل الى موقع بورصة
ميناء البصل الحالية ويدور حولها بمتدا في استدارته مسافة قدرها
٢٤٠ مترا تقريبا إلى أن يصل الى ترعة المحمودية .

الجهة الغربية منه

تبتدى هذه الجهة من السور المذكور من جنوب
هويس ترعة المحمودية الواقع أمام شون الاطلاق ويمتد
السور منها متجها الى الشمال مسافة قدرها ٣٥٠ مترا حيث
كان يوجد في نهاية هذه المسافة منه باب يدعى
(باب المغارات) وموقعه الآن بشارع الكوبرى القديم

أمام مكابس الأنطان . ثم يمتد في هذا الاتجاه مسافة قدرها ٨٠ مترا . ثم ينكسر متجها قليلا الى ناحية الشمال الغربى ممتدا في هذا الاتجاه مسافة قدرها ٣٠٠ متر حيث موقع رصيف جمرك المحمودية الآن . ثم يتبدل الى ناحية الشمال ممتدا مسافة قدرها ١٠٠ متر مارا بموقع مخازن الجمرك الآن ثم يستدير نحو الشرق قليلا مع اتجاهاه الى ناحية الشمال ممتدا في هذا الاتجاه مسافة قدرها ٦٥٠ مترا مارا بمواقع مخازن جمرك الاسكندرية ومكتب البريد حيث ينتهى بالقرب من مواقع مخازن الدخان الآن غربى شارع البحرية . أى عند بدايته في موقع الباب رقم (١٠) الآف الذكر .

ومن هذا الوصف يعرف أن جزءا من مدينة الاسكندرية الحالية كان موجودا وقت بحرى الحملة الفرنسية ولم يكن داخل هذا السور وهذا الجزء هو الواقع شمال هذا السور بين الميناء الشرقى والميناء الغربى ويشتمل على قسم رأس التين وقسم الجمرك وجزء من قسم المنشية ولا بد أن يكون السبب في ذلك يرجع الى أن هذا الجزء كان في قديم الزمان مغمورا بالماء وكانت الميناءآن متصلتين ببعضهما وكانت المدينة متصلة بجزيرة فاروس بواسطة جسر من الأحجار . وكان هذا الجسر هو الخط الفاصل بين المينائين المذكورتين وكان حد الاسكندرية الشمالى ينتهى بسور العرب ولا يجاوزه .

والنتيجة المترتبة على ذلك هي أن هذا الجزء لم يشيد ولم يصبح في الحالة التي وجدته عليها الحملة الفرنسية إلا بعد أن ردم هذا الجسر وطمر واتصلت الميناآن ببعضهما ثم اتصلا بجزيرة فاروس .

أما بناء هذا السور الحربى فانه كان على مايلوح من البناء الفاخر كما تدل على ذلك صوره ورسومه المخططة فى كتاب (وصف مصر) لعملاء الحملة الفرنسية .

وبما يؤسف له أشد الأسف عدم الاحتفاظ بهذا السور الأثرى القيم الذى هدم جانب منه وهو الجزء الواقع بالقرب من المينائين فى عهد حكم محمد على . ثم تهدم جزء آخر منه فى حكم الخديو اسماعيل . وباقية هدم فى عهد الاحتلال الانكليزى .

واليك وصف هذا السور وقت مجىء الحملة الفرنسية كما جاء فى كتاب (وصف مصر) بالجزء الخاص بمدينة الاسكندرية الحديثة :-

لا يحتوى سور هذه المدينة المهجور الذى بعض اجزائه محصن بأكثر من ١٠٠ برج مختلفة الاشكال إلا على جزء من مدينة الاسكندرية اليونانية الرومانية القديمة . ويسمى هذا السور من زمن بعيد بسور مدينة العرب لأنه يظن أن امراء

الأمة العربية الذين دام لهم حكم الاسكندرية ومصر نحو ١٢٠٠ سنة هم الذين بنوه .

ويبدو لنا أن الواقع هو أن هذا السور الذى يبلغ امتداده ٧٨٩٣ مترا قد شيد العرب أكبر جزء منه فى القرن التاسع الميلادى (القرن الرابع الهجرى) وحالة حيطانه الآن التى يحميها خندق ضيق، سيئة على وجه العموم . وبين أبراجه الكثيرة الشاهقة التى أكثرها رجب وبنائها نغم، يشاهد بعض أبراج واقعة على المينائين وعلى أطراف المدينة الحديثة يرجع تاريخ إقامتها الى القرون الأولى التى انشئت فيها مدينة الاسكندرية القديمة . فقد نقل الخلف عن السلف أن واحداً من هذه الأبراج وهو الذى يشرف على الفرضة الجديدة (الميناء الشرقية) من صنع يد الرومانيين وهذا البرج مازال الى الآن يسمى (البرج الرومانى) وهو البرج القائم قرب مسلات كليوباترة وعلى الشمال منها .

وهنا لك برجان آخران يلفتان النظر بضخامتهما ولونهما العتيق أحدهما قائم على الميناء الجديدة ومطل على مدخل الساحة التى عندها تنتهى قناطر المجرى المائى . والثانى يشرف على الميناء القديمة وبداخله برج آخر قائم فى وسطه . وهذا البرج المزدوج المتصلة حيطانه من الداخل بقبو مستدير، رجب جداً وبنائه أنيق . كما أن بعض أبراج أخرى كانت أجزاءها السفلى تستخدم ولا بد لحزن الماء .

ويوجد صهرج نغم في برج من الأبراج المطلة على واجهة المدينة الحديثة الجنوبية .

وقد رمم الحصن القائم في الزاوية البارزة الواقعة جنوب غربي السور حتى أصبح في حالة صالحة جداً للدفاع ويقال له نظراً لشكله (الحصن المثلث) . ولكنه أيسد بالنيران التي اشتعلت في مستودع باروده قبيل آخر عام ١٨٠١ م .

وتتصب أبراج هذا السور المشيدة حسب مستلزمات الحرب في الأزمنة الغابرة ، شائعة فوق مبانيها التي أعدت لاقامتها عليها . وجميعها منتهية بماشى بارزة عن قواعدها . وبهذه الماشى شرفات بها كوى وثقوب بواسطتها يمكن منع من يريد الدنو من هذا السور . وكافة الأبراج التي في الخط الخارجى لها أبواب سرية أو أبواب للخروج تطل على الخنادق . وأغلب هذه الأبواب مرتفعة العتبات مترا أو مترين عن قاع الخنادق ويحجبها الآن سائر من البناء .

ويشاهد في صلب بناء حيطان السور وبالأخص في أساس أغلب الأبراج كثير من أعمدة الرغام والصوان مندمجة اندماجا أقبيا فيها ويرى أحد طرفها من الخارج . وبعض أجزاء وجهاً هذه الحيطان مطلية بالمرمر لوقاية جدرانها من تأثير رطوبة البحر الملح التي تحدثها أنداء الليل الكثيفة المنتشرة على ساحل مصر . ويعاين الانسان تأثير الرطوبة الشديد في الحجر الجيري

ويرى كيف تحمله هذه الرطوبة بدرجة كبيرة متى تأمل في حيطان
السور القرية من باب رشيد وفي الزاوية البارزة القائمة عنده .

وفي هذا السور خمسة أبواب منها اثنان في واجهة
المدينة الحديثة ، واحد في الشرق يسمى (باب رشيد) والآخر
في الجنوب يسمى (باب العمود) - عمود السوارى - . ثم
الباب الذى فى الغرب وهو الذى يطل من البرج الهائل على
المرقا القديم (الميناء الغريبة) . وهذا البرج هو آخر
الأبراج غرباً . وهذه الأبواب مفتوحة فى الأبراج الراكبة فوق
السور وفتحها تواربها من الخارج حيطان الأبراج . وتستخدم
هذه الأبواب للاستكشاف وللدفاع عن الحامية على النمط الذى تستخدم
فيه الأبواب السرية التى فى جوانب أبراج حصون فرنسا . ومصاريع
هذه الأبواب من التجار المتينة المصنوعة من خشب الجيز . ووجهاها
الخارجية مكسوة بصفائح من الحديد مثبتة بمسامير ذات رؤوس
بارزة مشطوة . ولكن هذا الحديد أكله الصدأ . أما خشبها
الذى انحلت قشوره قليلاً فهذا لم يزد على مرور الأيام وكروور
الأصوام إلا متانة . ويوجد على وجهاً هذه الأبواب كتابة
عريضة كوفية وغير كوفية منها يعلم زمن انشائها - اهـ

والحقيقة أن عدد الأبواب لا بد أن يكون ستة
لا خمسة لأنه كان يوجد فى الجنوب بابان لا باب واحد
كما قالوا . وما يؤسف له أشد الأسف أن الكتابة المنوه

عنها في هذا الوصف التي كانت على أبواب هذا السور لم تنقل مع أنها كانت تنبئنا على الأقل عن اسم منشئ هذه المباني العظيمة .

وعدا أبراج سور العرب المذكورة كان يوجد من الحصون عند مجيء الحملة الفرنسية قلعة فاروس أو قايتباي التي هي عبارة عن سور محصن على طراز العصر الذي بنيت فيه وتحتوى على برج مربع الشكل مشيد في أركانه أربعة أبراج صغيرة وبماشييه شرقه فيها مصباح يضئ في الليل . وكان في غرف هذا البرج العليا أكنداس من الأسلحة المختلفة تراكم فوقها الصدا وتدل حلها وأشكالها على أن بعضها من أسلحة الصليبيين والبعض الآخر من أسلحة حملة لويس السادس عشر المنكودة ، كما كان يوجد حصن آخر يقال له طايية فاروس الصغيرة لوقوعه إزاء القلعة السابقة وهو الطايية المعروفة بطايية السلسلة الحالية . وهذه الطايية كانت مشيدة في نهاية خط الصخور التي هي نهاية الميناء الشرقية من جهة الشرق . وقد بنيت هذه الطايية للدفاع عن هذه الميناء . والصخور الموصلة لهذه الطايية الصغيرة مرتفعة عن منسوب ماء البحر ولكنها كانت تغمر به عند اشتداد الأنواء .

وعند قدوم الفرنسيين لم يكن يوجد من هذه الطايية الصغيرة إلا برج مربع الشكل متخرب به بعض أجزاء من مدافع يرى الصدا حديدها من جسر رطوبة البحر الملح التي حالت هذا

الحديد وصيرته شرائح ونفايات معدنية .

ثم كان يوجد في موضع مدرسة رأس التين الأميرية
الآن حصن ثالث يشرف على الميناء الغربية .

ولما احتل الفرنسيون المدينة شيدوا حصونا لحمايتها من
الاعتداء عليها من الخارج وهذا يانها :-

(١) - حصن كوم الدكة . وهو الحصن الباقي إلى الآن
وسموه حصن كريتان Fort Crétin تخليدا لذكرى المهندس الحربي
الفرنسي القائمقام كريتان الذي أشرف على بنائه ثم قتل في موقعة
أبي قير التي نشبت بين الفرنسيين والجنود التركية في ذلك الحين .

(٢) - حصن كوم الناطورة . وهو أيضا لا يزال باقيا
إلى الآن . وسموه حصن كافاريللي Fort Cafarelli باسم الجنرال
الذي كان مشرفا على الأعمال الهندسية الحربية في جيشهم .
وهذا الجنرال فقد إحدى ساقه قبل مجيئه إلى مصر واستعاض
عنها بساق خشبية فكانه المصريون بأبي خشبة ثم قتل في حصار عكا .

(٣) - حصن لوتورك Fort Leteruce وهو حصن
أقاموه غربي الحصن السابق على شاطئ البحر في الموضع الذي
به طاية صالح الحالية . ولوتورك اسم أحد قوادهم .

(٤) - حصن كليوطره . وهو حصن شيدوه على المرتفعات

القائم عليها الآن المستشفى الأميرى وسموه بهذا الاسم لمجاورته
للمسلة المسماة بمسلة كليوطره .

وقد أقاموا عدا هذه الحصون صفوفًا من المدافع
(بطاريات) فى المواضع الآتية :-

(١) - بطارية فى نهاية رأس التين فى الموضع الذى
صار فيها بعد طاية الفنار .

(٢) - بطارية فى شمال رأس التين فى الموضع الذى
صار فيها بعد طاية سراى رأس التين .

(٣) - بطارية فى موضع منهد (ميس) ضباط الحرس
الملكى الآن وكان فى موضعها قبل ذلك طاية الاستتار .

(٤) - بطارية فى موضع طاية الأتلة الحالية .

هذه هى كل المنشآت التى أقامها الفرنسيون على شواطئ
مدينة الاسكندرية وفى داخلها للدفاع عنها من عدو يهاجمها .
ولملاحظ أنه فى مواضع البطاريات السالفة الذكر أقيمت
طوائى فيها بعد كما سبق .

٤ - فى حكم محمد على

عهد محمد على إلى جاليس بك تحصين مدينة الاسكندرية

وفي عام ١٨٤٠ م كانت حصونها وأسلحتها كما يؤخذ من
رسم الملازم نيوجت Nugent من رجال البحرية البريطانية كالآتي :-

الجملة	مدافع	أهوان	الحصون
٦	—	٦	د ١ - طاية الساسلة
١٠	—	١٠	د ٢ - د قبور اليهود
٩	٣	٦	د ٣ - د كوم النكة
١٦	٤	١٢	د ٤ - د كوم الناطورة
٣٢	١٢	٢٠	د ٥ - د قايتباي
١١	١	١٠	د ٦ - د الأطة
٦٣	١٧	٤٦	د ٧ - د سراي رأس التين
٤٣	١٠	٣٣	د ٨ - د قنار رأس التين
١٨	٣	١٥	د ٩ - د صالح أغا
٣٠	—	٣٠	د ١٠ - د أم قبيصة
١٣	٣	١٠	د ١١ - د القمرية
١٠	—	١٠	د ١٢ - د الملاحة القديمة
٣٤	—	٣٤	د ١٣ - د الملاحة الجديدة
١٣	٣	١٠	د ١٤ - د النخيلة
١١	٣	٨	د ١٥ - د جزيرة المجمل أو المرباط
٧٠	—	٧٠	د ١٦ - د طواني دائرة السور
٣٨٩	٥٩	٣٣٠	الجملة العمومية

وبعد سنة ١٨٤٠ م وفي أواخر حكم محمد علي زاد عدد هذه الحصون كما يؤخذ من القائمة المؤرخة بعام ١٢٦٤ هـ (١٨٤٨ م) التي وضعها حسن باشا الاسكندراني ناظر البحرية المصرية الذي أدرسته المنية سنة ١٨٥٥ م ففرق مع من غرق في سفينة القيادة (مفتاح جهاد) في حرب القرم التي اشترك فيها الاسطول المصري .

وهذه القائمة نقلها اسماعيل سرهنك باشا في كتابه (حقائق الأخبار عن دول البحار) ج ٢ ص ٢٥٩ . ومنها يتبين أن عدد هذه الحصون ومدافعها كان كالآتي :-

الجهة	أهوان	مدافع	الحصون
٦٣	٦	٥٧	١ - طاية الفنار
١	-	١	٢ - د الفنار الصغيرة
٧٣	١٢	٦١	٣ - د التراب
٢٣	١٠	١٣	٤ - د الاستبالية الجديدة
٢٥	-	٢٥	٥ - د الاستبالية القديمة
٦٤	٧	٥٧	٦ - د الأطة
١١٦	٦	١١٠	٧ - قلعة برج الظفر
١٢	٦	٦	٨ - طاية ظهر منزل الفرنسي
٨	-	٨	٩ - د المفحمة

(تابع) بيان الحصون ومدافعها

الجملة	أهوان	مدافع	الحصون
٩	-	٩	مسلة فرعون د - ١٠٠
١٠	-	١٠	قبور اليهود القديمة د - ١١٠
٢٠	-	٢٠	قبور اليهود الجديدة د - ١٢٠
١٩	١	١٨	برج السلسلة د - ١٣٠
٦	-	٦	باب شرق د - ١٤٠
١١	١	١٠	كوم الناطورة د - ١٥٠
٣	-	٣	الدخيلة د - ١٦٠
٢٢	٢	٢٠	السالية د - ١٧٠
٤٩	٩	٤٠	المكس د - ١٨٠
١٠	١	٩	القمرية د - ١٩٠
٦٠	٤	٥٦	أم قبيبة د - ٢٠٠
١٥	١	١٤	الملاحة القديمة د - ٢١٠
٣٥	١	٣٤	الملاحة الجديدة د - ٢٢٠
١٣	-	١٣	صالح أفا د - ٢٣٠
٨	-	٨	باب سدة د - ٢٤٠
١١	٢	٩	كوم النكة د - ٢٥٠
٦٨٦	٦٩	٦١٧	الجملة

وزيادة في بيان هذه الحصون ومواقعها نقول :-

(١) و (٢) - طابيتا الفنار والفنار الصغيرة . هما الآن عبارة عن الطابية المعروفة بطابية الفنار برأس التين .

(٣) طاية الثراب . هي الآن تشغل خط النار شمال سراى رأس التين ولهذا تسمى طاية سراى رأس التين .

(٤) و (٥) - طابيتا الاستبالية القديمة والاستبالية الجديدة . تقعان الآن تجاه قشلاقات وميس ضبط الحرس المسمى في المكان الذي كان قائما عليه هذان المستشفيان .

(٦) - طاية الأطلية . لاتزال في موضعها كما كانت إلى الآن شرق حمام الأنفوشي وبها مركز لحفر سواحل قسم الاسكندرية والأطلية كلكة تركية معناها الجزيرة وهذه الطاية الآن تعرف عند الناس باسم طاية القضا .

(٧) - قلعة برج الظفر . هي في رأينا الطابية المعروفة الآن بطابية قايتباى للأسباب الآتية :-

(١) - تسمية كثيرين من المؤلفين لهذا البرج باسم قايتباى .

(٢) - عدم ذكر اسم حصن قايتباى في قائمة حسن باشا الاسكندراني مع انه كان أهم حصون الاسكندرية كما يؤخذ من حالة تسليحه .

(٣) - محيى هذا الحصن في الذكر بعد طاية الأطلية

في قائمة حسن باشا الاسكندراني وكذلك في الوضع الجغرافي فانه فيه بعد هذا الحصن شرقا .

نعم كان يوجد بين موقع مسجد الامام البوصيري وسراى المحافظة القديمة على شاطئ البحر برج صغير كان معروفا بين الناس باسم البرج الزفر (برج الظفر) . وقد زال وبقيت آثاره منذ أن ردم ساحل البحر في هذه الجهة وأقيم بناء رصيف الميناء الشرقية الجديد فيجوز أن يكون برج الظفر هو هذا البرج الذى زال . وقلعة برج الظفر هى الطاية المعروفة بطاية قايتباى . ولايحيد عن أحد هذين الرأيين ، وإهمال ذكر برج الظفر بهذا الاسم وحده في قائمة حسن باشا الاسكندراني يكون لأنه أدججه تحت اسم قلعة برج الظفر أو لأنه لم يكن له أهمية حرية .

(٨) - طاية ظهر منزل الفرنسيين . كانت واقعة كما يدل على ذلك اسمها على البحر خلف قنصلية فرنسا القديمة التى كانت مشيدة محل ميدان سعد باشا زغالول الآن ودمرتها نيران الاسطول البريطانى سنة ١٨٨٢ م عند اطلاق قنابله على المدينة .

(٩) - طاية المنحمة . كانت قائمة على شاطئ البحر أيضا شرق الطاية السابقة عند نهاية شارع البورصة القديمة .

(١٠) - طاية مسلة فرعون . كانت كما يدل على ذلك اسمها قرب مسلة فرعون بجوار محطة الرمل الحالية .

(١١) و (١٢) - طابيتا قبور اليهود القديمة وقبور اليهود الجديدة . كانت أولاهما في موضع المستشفى الأمري الحالى . والثانية بين نهاية شارع يوسف عز الدين ورأس السلسلة .

(١٣) - طاية برج السلسلة - كانت تشغل الرأس الداخل فى البحر الذى حولته البلدية الى متنزه .

(١٤) - طاية باب شرقى - كانت قائمة بالقرب من أحد أبواب سور المدينة وهو الباب المسمى بهذا الاسم والمسمى أيضاً بباب رشيد . وموقعها الآن فى شارع فؤاد الاول عند ملتقى شارع السلطان حسين كامل بشارع بلجىكا .

(١٥) - طاية كوم الناطورة (الناضورة) - لا تزال باقية وفيها الآن مركز اشارات مصلحة الموانى والمناظر .

(١٦) - طاية الدخيلة - كانت واقعة بين باب العرب وطاية العجمى .

(١٧) - طاية السلبة - وهذه لا بد أن موقعها كان بين طابيتى الدخيلة والمكس .

(١٨) - طاية المكس - وهى قائمة الى الآن قرب باب العرب .

(١٩) - طاية القمرية - كانت واقعة شرق الطاية

السابقة في موضع مركز اشارات مصلحة الموانئ والمنائر .
(٢٠) - طاية أم قبية - كانت شرق طاية القمرية
المذكورة وبينها وبين طاية صالح اغا في موضع شواذر
الحشب الآن .

(٢١) و (٢٢) - طايئا الملاحة القديمة والملاحة
الجديدة - هما على هذا الترتيب حصنا اليسرى والصغرى واليسرى
الكبرى الحاليتان القائمتان بين طريق المكس وبحيرة مريوط
خلف المحطة القديمة التي كانت لخط سكة حديد مريوط ثم
تحولت الآن مدرسة للبنات (مدرسة المعلمات الورديان)
والحصن للشرق منها الذي هو طاية الملاحة القديمة مبين
بخرطة مصلحة المساحة باسم حصن الملاحة .

(٢٣) - طاية صالح اغا - لا تزال باقية الى الآن
ومعروفة باسم طاية صالح . وهي التي تقوم باطلاق المدافع
لتحية السفن الحربية القادمة الى الاسكندرية .

(٢٤) - طاية باب سدره - كان موقعها قرب أحد
أبواب سور العرب المعروف بباب السدره وموقع هذا الباب
الآن بشارع الحديد الأول تجاه شارع عمود السوارى .

(٢٥) - طاية كوم الدكة أو كوم الدماس - لا تزال
باقية الى الآن في موقعها على الشارع المعروف بشارع نبي الله
دانيال . وهي مشهورة غنية عن التعريف .

٥ - في حكم ابراهيم باشا

قال على باشا مبارك في خطه ج ٧ ص ٦٠ مانعه :

قد اشتغل ابراهيم باشا بمجرد استيلائه بأمر مهمة في
اسكندرية وغيرها ذات منافع عمومية من ضمنها تكيل طوابى اسكندرية
واستحكاماتها على الوجه الذى أسست عليه في عهد العزيز والده وشحنها
بالعسكر والأسلحة والآلات ومر بالساحل من اسكندرية الى رشيد
ثم الى دمياط واستكشفه بنفسه - إلى أن قال - وأمر في ثغر اسكندرية
بانشاء مائتين وخمسين شلوبة طوبجية كل واحدة تحمل مدفعين لحفظ
البوغازات والملاحات . وكان عازما على تخطيط سكة تبثى من
الاسكندرية وتمر بناحية أبى قير وتستمر الى رشيد ليسهل السير
على العساكر والمهمات عند الحاجة - إلى أن قال - لكن لم تمهله
الأيام حتى يتم ما شرع فيه وما عزم عليه . ٥١

٦ - في حكم عباس الاول

وقال على باشا مبارك أيضا في خطه ج ٧ ص ٦١ أثناء الكلام
على الاسكندرية في زمن المرحوم عباس باشا ما نصه :-
وكان مما وجه همهته اليه زيادة على غيره تعمير الاستحكامات
والطوابى والقلاع طبق مرسومه رئيس هندسة الاستحكامات جاليس بك
ووافقه عليه ذوو الدراية والخبرة وأقره الخديو . فأقام معظم حصونها
وأضاف إليها بعض حصون رأى أهميتها فأدخلها في النقاط المهمة ، ومن

ذلك قلعة مقابر اليهود وقلعة أبي قير وقلعة العجمي مع انشاء مبان ملحقة بتلك القلاع للوازمها . فأنشأ في قلعة مقابر اليهود جنوخانة جسيمة تسع تسعة آلاف قطار من البارود وهي إلى الآن مستعملة في حفظ البارود . وعمل في قلعة أبي قير مخبزا وطواحين تدور بالهواء . واستبالية لمرضى العساكر المقيمين بهذه القلعة وما جاورها من القلاع فكانت العساكر المقيمة في تلك الجهات لا تحتاج لشيء يأتي من الخارج . ولم يزل ملتفتا إلى الاستحكامات والقلاع والحصون عازما على إتمامها فيلحق بها ما يلزم من الورش والبطاريات الطوبجية وقشلاقات العساكر المحافظين والاستباليات وغير ذلك حتى انتظم أكثر القلاع التي كان جده وعمه مهتمين بها . وبنت ورشة للطوبجية في وسط المدينة في شرقي المحل المعروف بكوم الناصورة طولها مائتا متر في مثلها عرضا مشتملة على جميع محلات التشغيل كمحلات النجارة والحداة والبرادة والسبك وغير ذلك كالمخازن . وجلب لها جميع آلات التشغيل والعمال والمعلمين فصارت من أحسن ما يعمل من هذا القليل . وعمل بها عدة بطاريات يعمر بها كثير من آلات السواحل وغيرها ثم أبطلها المرحوم سعيد باشا وأمر ببيع أرضها للأهالي فبنت منازل وغير ذلك ومن ضمنها الآن حمام هندي (حمام الورشة) وأنشئت القشلاقات داخل الطوابي . فن ذلك قشلاق في طاية الآداء (الأطلة) لاقامة خمسمائة عسكرى . وقشلاق في قلعة أم قبية كذلك . وقشلاق فوق باب الصوري المعروف بباب محرم بك لاقامة أوبرطة من العساكر .

ولما أنشئت سكة الحديد الواصلة إلى الرمل (١) مرت في وسط القشلاق
فقسمته نصفين . والآن به عساكر محافظة الضبطية . وبنى الاستبالية
الملكية في حوش مقابر اليهود بجوار المسلة المعروفة بمسلة كليوبطرة
ووفاهما جميع لوازمها من مفروشات وملبوسات وأدوية وآلات وجعل
بها اجزخانة ويتا للتركيب الأدوية ونوع محلاتها بحسب أنواع الأمراض
والعلل . ورتب لها حكاه وجراحية لجأت من أحسن الاستباليات
وحصل بها النفع العام وصار يدخلها الأهالي والغرباء للتداوى بدون
مقابل واستمرت على ذلك حتى هدمتها سكة حديد الرمل أيضا . والآن
عمل من فيض المكارم الخديوية استبالية عوضاً عنها في محل قريب منها .
ولأجل الوقوف على ما اشتملت عليه الاراضى المجاورة لثغر الاسكندرية
أمر باستكشاف ما حوله حيث كان لذلك دخل في المحافظة فكشف
سواحل البحر من الاسكندرية الى العريش — إلى أن قال — واهتم
أيضا بكشف الصباريج التي بداخل الاسكندرية وخارجها وما تشتمل
عليه وقدر ما تسع من الماء والمجارى التي توصل الماء اليها وصار
التنبيه على أصحاب الاملاك ألا يتلفوا شيئا من ذلك ولا يتصرفوا فيه
وجعل لذلك قوانين معمولاً بها الى الآن وكانت قد بطلت مدة فتنشأ
عن بطلانها تصرف أصحاب الاملاك في كثير منها بالنقض والهدم .
وحيث كان الماء من أهم لوازم الميناء ولا يستغنى عنه زمنا ما

(١) هذا خطأ ظاهر ولعل صفة الكلام سكة حديد الخط الطويل الموصل الى القاهرة .

لا سيما لو فرض حصول محاصرة تقطع ماء الحمودية عن الثغر صدرت
أوامره السنية بدم التعرض للصهاريج بوجه ما والرجوع الى تلك
القوانين فامتنع الناس من هدمها ولا يخفى أهمية ذلك فان تلك الصهاريج
مبنية من قرون عديدة ولا شك أنها صرفت فيها أموال جسيمة
وهي من الآثار القديمة التي نوه التاريخ بقدرها وأهميتها بالنسبة لهذه
المدينة لبعدها عن النيل . والماء الواصل اليها من الخليج يمر في وسط بحائر
ملحة ومنطقة وفي أى وقت يمكن صرفه الى البرارى أو البحر وحرمان
المدينة منه فيقع أهلها في الضرر وتفاقمها المأيرة مع أنها مفتاح القطر
فلم يكن أهم ما يوصل الى عماريتها وراحة أهلها . ومن ذلك كشف
المسالك الموصلة اليها ومعركة ما اشتملت عليه تلك الطرق مما هو من
لوازم الحياة كالمياه العذبة والمراعي وحطب الوقود وجلب الميرة ومنع
الاعداء . فكل ذلك معرفته مهمة في وقت السلم ليتفجع به عند حصول
ضده . فهذا هو ملحظه رحمه الله وملحظ المؤسس الأصلى وملحظ
سر عسكر (ابراهيم باشا) جزاهم الله عن الوطن خيرا . ومن هذا
الاستكشاف ظهرت ثمرات جمة منها عمل سكة عسكرية من طاية
القبارى الى باب العرب لتسهيل مرور العساكر والواردين على المدينة
من جهة الغرب ووادى سيوة وكانوا قبل ذلك يقاسون مشقات زائلة
لعدم انتظام المسالك — إلى أن قال — وقد رسم ذلك كله في خريط
الاستحكامات حتى لا تطرق اليه شبهة فيها بعد — إلى أن قال — ولما
كثرت الافرنج والأغراب فى مدينة الاسكندرية واستوطنوها

واستحوذوا على كثير من الفضاء الذى كان بداخل المدينة وضواحيها
رغبوا فى سكنى الرمل وهى قرية شرق المدينة بينها وبين أبى قير
وأكثرها من شراء الأملاك فى هذا المحل لقلة ثمن الارض هناك إذذاك
فسيقتل الحكومة لذلك لما لتلك الجهات من الأهمية لوقوعها فى
المناطق العسكرية الممنوع البناء فيها فأمرت بضبط ما بيع من هذه
الأراضى ويان ما بنى وما لم ين منها ومنعت التصرف فى أراضى الرمل
وغيرها إلا بأذن من الحكومة وجعلت لذلك قوانين تتبع فى هذه
الأمور . وبسبب قرب الرمل من المدينة واتساعه وطيب هوائه رغب
المرحوم فى اتخاذ معسكرا تجتمع فيه العساكر فى المناورات وغيرها وأمر
بردم الملاحة المجاورة لقرية الرمل (ملاحة سيدى جابر - أرض
سموحة الآن) لمنع العفونة وعمل لذلك رسوم وميزانيات ولكن بموته
لم يتم ذلك . اهـ

٧ - فى حكم سعيد باشا

الظاهر أن تحصين مدينة الاسكندرية فى حكم سعيد باشا بقى على
ما كان عليه فى حكم سلفه عباس الاول .

٨ - فى حكم الخديو اسماعيل

عزز الخديو اسماعيل حصون هذه المدينة بمدافع أحدث
طرازا من التى كانت بها حتى يحارى بذلك روح العصر الذى كان

فيه لأن مدافع عصر محمد على لم يكن بينها النوع المعروف بالششخانة الذي تحقق تفوقه على النوع القديم . فكان من اللازم التفكير في تسليح هذه الحصون بهذا النوع مادام القصد من هذا التسليح ضمان سلامتها من غارة أجنبية .

لذلك ابتاع الخديو اسماعيل من إنجلترا فيما بين سنة ١٨٦٩ و سنة ١٨٧٣ م ٢٠٠ مدفع من طراز أرمسترونج عيار ٧ بوصات ووزن ٧ أطنان وعيار ٨ بوصات ووزن ٩ أطنان وعيار ٩ بوصات ووزن ١٢ طناً وعيار ١٠ بوصات ووزن ١٨ طناً وهذه المدافع تعمر من الأمام . وابتاع أيضاً أربعة مدافع عيار ٤٠ رطلا من الطراز عينه ولكنها تعمر من الخلف . ونصب من هذه المدافع في حصون مدينة الاسكندرية الأربعة المدافع الأخيرة و٤٦ مدفعاً من المدافع الأولى . والباقي من المائتي مدفع نصبه في بقية حصون سواحل مصر حتى بور سعيد .

وقت تركيب هذه المدافع الحديثة نزع بعض المدافع القديمة وكانت التي نزلت بالضرورة غير صالحة للاستعمال ولكن قواعدها استخدمت مداور للبدافع الحديثة .

موازنة بين هذه الحصون والأسطول البريطاني

الحصون

إن ساحل مدينة الاسكندرية سهل منبسط ليس به هضاب ولا جبال اللهم إلا بعض التلال المصنوعة . وهو لهذا السبب الطبيعي لا يصلح لاقامة حصون عليه تدفع عن هذه المدينة شر القنابل الحديثة سواء التي اخترعت في أيامنا هذه والتي كانت في سنة ١٨٨٢ م وقت أن ضربها الأسطول الانكليزي الذي كان مزوداً بمدافع أقوى من مدافع هذه الحصون .

وكان حصن أم قبية هو الحصن الوحيد المقام على تل مرتفع عن الأرض . وكانت حصون الاسكندرية في سنة ١٨٨٢ م هي ذات الحصون التي كانت في عهد محمد علي مع فرق بسيط . وهو أنه لما سلحها الخديو اسماعيل بمدافع من طراز أرمسترونج رفع ستارها وزاد في سمكها وفتح فيها كوات جديدة تتناسب مع هذا التسليح الجديد . ولكن كل المدافع كانت منصوبة في المراء بدون أن يعلاها أية وقاية تقي العساكر الذين يطلقونها . وقد يجوز أن يكون نصبا بهذه الكيفية أخف ضررا لو كانت هذه الحصون شيدت فوق مرتفعات لأن

علوها حيثئذ بالنسبة للضلع التي تضطر السفن الحربية أن تصوب منها مدافعها يمكن أن يتخذ وقاية كافية لحماية جنودها من أذى القنابل . ولكن نظراً لأن كل هذه الحصون تقريباً كانت قائمة على أرض منخفضة نشأ من ذلك أضرار بالغة لرجال مدفعيتها الذين كانوا عرضة لنار مدافع السفن وبالأخص لمدافع السربند المنصوبة على السوراري والتي بواسطتها في هذه الحالة يمكن إسكات مدافع هذه الحصون بقتل جنودها وبغير حاجة إلى اتلاف هذه المدافع .

والحصن الوحيد الذي يمكن استثناءه من هذه الحالة هو حصن قايتباي الذي كان في طبقته السفلى المسقوفة مدفعية مستورة بطبقته العليا . ولكن حيطانه لم تكن من المتانة بحالة تستطيع معها الاستهداف لمدافع هذا الأسطول . فقتلت وجرحت الشظايا التي كانت تنطأير منها كثيراً من الجنود فضلاً عما أحدثته من الضحايا والتلف للأهالي والمساكن حتى لقد قال القائد جودريتش Goodrich أحد قواد امريكا الحريين في تقريره من ٤٨ إن هذه الحرب لم تكن إلا دهليزا إلى مهاوى الموت السحيقة .

وقد كان هذا القائد على ظهر السفينة الحربية لانكاستر Lancaster وقت ضرب الاسكندرية وشاهد هذه الموقعة

وعاين هذه الحصون بنفسه بعد الضرب وتبع خطوات الجيش الانكليزي في جميع حركاته العسكرية من أولها الى ما بعد واقعة التل الكبير . وقدم تقريراً مفصلاً لحكومته بكل ما عاينه ورآه . ومن هذا التقرير استقيت معظم معلوماتي .

وكان في كل الحصون بدون استثناء مبان عديدة مرتفعة عن سائرها مثل مستودعات القنابل والثكنات (القشلاقات) والمخازن . وكانت هذه المباني المرتفعة بهذه الكيفية كأنها نصبت لتكون هدفاً عجمياً لا تخطئه نيران مدافع الأسطول . وكانت مستودعات البارود على الأخص غير مصونة الصيانة الكافية . ويؤيد ذلك انفجار مستودعي البارود في طابقي الأطلة والدخيلة . ومن العجائب أن مستودعي البارود في كلتا الطابقتين هما وحدهما اللذان أصيبا فانفجرا وتمزقا شرمزق دون غيرها من المباني التي فيها . والقنابل لم تكن على وجه العموم معبأة من قبل في مدافع هذه الحصون بل كانت تعبأ في خلال المعارك .

هذه هي الحالة التي كانت عليها حصون مدينة الاسكندرية في سنة ١٨٨٢ م وقتما ضربها الأسطول الانكليزي . أما من حيث تسليح الحصون التي كانت في ساحل المدينة وكانت معرضة لمدافع الأسطول فكان كالآتي :-

الحصون	مدافع ارمسترونج ششخانة					رقم الحصن	مدافع غير ششخانة	اهوان	الجملة
	تصغير من الامام		تصغير من الخلف						
	عيار		عيار						
	برصة ٧	برصة ٨	برصة ٩	برصة ١٠	رطلا ٤٠				
طاية السلسلة	-	١	١	-	-	٢	٢	١	٥
قلعة قايتباي	-	٢	٣	١	٢	٨	٣٨	٤	٥٠
طاية الهلالية	-	-	-	-	-	-	٤	-	٤
د الأطة	-	١	٣	١	-	٥	١٤	٥	٢٤
د الاستبالية	٢	-	-	-	-	٢	١٠	٥	١٧
د رأس التين	-	٢	٢	١	١	٦	٢١	٥	٣٢
د القنار	-	١	٤	١	-	٦	٢٨	٣	٣٧
د صالح أفا	-	-	-	-	-	-	٢١	١	٢٢
د برج رقم ١٥	-	-	-	-	-	-	٤	-	٤
د أم قبينة	-	٢	-	-	-	٢	١٦	٣	٢١
د القمرية	-	-	-	-	-	-	٥	-	٥
د المكس	-	٣	١	١	١	٦	٣٦	١٠	٥٢
د الدخيلة	-	-	-	-	-	-	٤	-	٤
د المعجمي	١	-	٥	٣	-	٩	-	-	٩
د المراط	-	-	٣	-	-	٣	٢٦	٣	٣٢
الجملة	٣	١٢	٢٢	٨	٤	٤٩	٢٢٩	٤٠	٣١٨

وعدا المدافع السالف يانها تقل اثنا عشر مدفعا من طراز
ارمسترونج الذى يعمر من الأمام (ششخانة) الى الحصون الآتية :-
مدفعان عيار ٩ بوصات ومدفعان عيار ١٠ بوصات
الى طاية المكس .

وثلاثة مدافع عيار ٩ بوصات الى طاية النخيلة .
ومدفعان عيار ٧ بوصات ومدفعان عيار ٨ بوصات
ومدفع عيار ١٠ بوصات إلى حصن المرافئ .
ولكن كل هذه المدافع لم يمكن تركيبها في هذه الحصون ولا
أمكن استعمالها في ضرب الأسطول الانكليزى .

ويجب حذف المدافع التى من غير نوع الششخانة وكذلك
الاهوان من قائمة المدافع المذكورة قبل لأنها لم يكن لها في الواقع
أية قيمة حربية في زمن ضرب مدينة الاسكندرية إذ كانت قطعاً
عتيقة يرجع تاريخها إلى عهد محمد على وكان مرماها قصيرا وليس
لمقذوفاتها القوة اللازمة لاختراق مدرعات الأسطول البريطانى لأن القنبله
بعد أن تجتاز المسافة التى تحتفظ فيها بسرعتها تستمر في السير ولكن
مع ضعف في هذه السرعة . فاذا وصلت إلى الهدف عند ضعف سرعتها
لاتحدث ضررا يذكر لحصم قوى في منزلة هذه المدرعات .

ولا يمكننى أن أقدم برهانا على صحة ما ذكرت أسطع بما وقع
لسفينة القيادة في هذا الأسطول (الكسندرا Alexandra) .

فقد أصيبت هذه السفينة بستين قنبلة فكانت نتيجة هذه الأصابات قتل جندي واحد وجرح ثلاثة . فلو أن هذه القنابل الستين كانت لها تأثير حقيقى لأغرقتها .

ومن ناحية أخرى كانت عجلات هذه المدافع فى حالة سيئة فبعضها تحطم عند انطلاق المدافع وبعضها انقلبت من فوقها المدافع عند رجوعها على أثر انطلاقها .

ويجب أيضا حذف المدافع الأربعة التى من طراز ارمسترونج وتتمر من الخلف لأن عيارها صغير جدا بحيث لا تستطيع أن تعمل عملا جيدا ضد هذه المدرعات .

الأسطول

كان الأسطول الانجليزى الذى ضرب مدينة الاسكندرية بقيادة الأميرال سيمور Seymour مؤلفا من ثمانى مدرعات كبيرة هى :
الكسندرا Alexandra وهى سفينة الأميرال . والانتليكسيل Inflexible .
والسلطان Sultan . والسورب Superb . والتيمرير Témeraire .
والانتشيسيل Invincible . ومونارك Monarch . وبنلوب Penelope .
وخمس سفن صغيرة (مدفيعات) وهى : بترن Bittern . وكندور Condor . ويكن Beacon . وسينت Cygnet . ودكوى Deçoy .
وسأحلف عند ذكر مدافع هذا الأسطول المدافع التى عيارها

يقل عن عيار مدافع الحصون وكذلك مدافع السفن الصغيرة (المدفيعات) . وذلك في مقابل المدافع الثقيلة والأهوان التي حذقتها من الحصون . وهذا الخلف في صالح الاسطول على ما أرى .

وقد كانت كافة المدافع المسلح بها هذا الاسطول من طراز ارسترونج وتعمر من فوهاتها مثل مدافع الحصون التي من نوعها (الشخانة) . وهاك تقسيمها على مختلف المدرعات المذكورة :-

المدركات	المــ					
----------	---	--	--	--	--	--

وكان وزن المدافع عيار ١٦ بوصة ٨٠ طناً وتقذف قنابل
وزن الواحدة منها ١٧٠٠ رطل (٦١٢ أقة أو ٧٦٥ كيلو جرام).

الموازنة بين السلاحين

والآن أباهر معالجة الموازنة بين سلاح الحصون وسلاح
الأسطول لأين تفوق الثاى التفوق العظيم على الأول بالعار
وبالوزن فأقول :-

لقد كانت مدافع الحصون ذات العيار الواسع حسب
القائمة التى سبق تدوينها كما يأتى :-

المدافع	عيار المدفع بالبوصات	وزن المدفع بالاطنان	جملة العيار بالبوصات	جملة الوزن بالاطنان
٣	٧	٧	٢١	٢١
١٢	٨	٩	٩٦	١٠٨
٢٢	٩	١٢	١٩٨	١٠٨
٨	١٠	١٨	٨٠	١٤٤
٤٥			٣٩٥	٢٨١

أما مدافع الأسطول فكانت كما ذكر آنفا كالآتي :-

المدافع	عيار المدفع بالبوصات	وزن المدفع بالاطن	جولة الميار بالبوصات	جولة الوزن بالاطن
١	٧	٧	٧	٧
٨	٨	٩	٦٤	٧٢
١٦	٩	١٢	١٤٤	١٩٢
٣٨	١٠	١٨	٣٨٠	٦٨٤
١٠	١٢	٢٥	١٢٠	٢٥٠
٤	١٦	٨٠	٦٤	٣٢٠
٧٧			٧٧٩	١٥٢٥

فالأسطول كان يمتاز امتيازاً كبيراً على الحصون كما يعلم من المقارنة بين هذه الأرقام . ويكون هذا الامتياز أشد ظهوراً لو نظرنا بعين الاعتبار إلى حالة طائفتي السلسلة والمعجم . لحسن المعجم لم يكن قد تم إنشاؤه فلم يشترك في القتال . وكذلك لم تشترك فيه مدافع الحصون الأخرى التي لم تكن منصوبة في اتجاه الأسطول . وهذا الامتياز يتعاضد ويزداد ظهوراً بسبب سرعة تحريك الأسطول واستطاعته أن يحشد بوارجه ويصوب جميع نيرانها على حصن واحد فيقوضه ويدمره بدون أن يستطيع حصن آخر أن ينجده . وهكذا يهاجم الأسطول حصناً بعد آخر فيصيبها التلف جميعاً . وهذا ماحدث فعلاً

وهذه هي الحركات البحرية الحرية التي نوحاها هذا الاسطول في ذلك اليوم الانكد المشنوم .

وكانت حامية الحصون مؤلفة من ١ جى طوبجية سواحل وبحر قوته ١٧٦٢ ضابطا وصف ضابط وجنديا . وهذا الاى هو الذى كان في ذلك اليوم الريب مع عيوب هذه الحصون ونقصها والتفاوت بين القوتين المتحاربتين وضالة معداته يدافع بروحه ودمه عن شرف الجيش والعلم المصرى بشجاعة تعلو قدره وترفع رأسه . فحيا الله أولئك الأبطال الذين راحوا ضحية الدفاع عن الأوطان وتقدم بواسع رحمة ورضوانه .

الحوادث التي سبقت الضرب

شرح الأميرال سيمور من أول بولي سنة ١٨٨٢ م يتحل سيا من الأسباب مقبولا أو غير مقبول معقولا أو غير معقول ليتذرع به إلى فتح باب الشر والعدوان حتى يحقق مطامع دولته في مصر تلك المطامع التي كانت تعمل لها انجلترا منذ زمن بعيد .

ويقال أيضا إن هذا الأميرال كان لديه سبب شخصي يدفعه إلى الإسراع في مباشرة الأعمال الحربية على قدر مايسطيع . ذلك أن أسطول بحر المانش كان قد تلقى الأوامر بالاقلاع إلى البحر الأبيض المتوسط لينضم إلى أسطول الأميرال سيمور ويعاونه في ضرب قلاع الاسكندرية . وقد كان الأميرال دويل Dowell قائد أسطول

بحر المانش أرقى منصبا من الاميرال سيمور فاذا انضم اليه بأسطوله كانت له الرئاسة قطعاً وآل إليه دون سيمور شرف الانتصار إذا أحرزه في ذلك اليوم .

هذا هو السبب في تعجل الاميرال سيمور وخلقه للأسباب ولولم يكن لها وجود .

وانى أسوق هنا بعض المكاتبات الرسمية التي دونتها الحكومة الانكليزية في الكتاب الأزرق عن سنة ١٨٨٢ م وهي :

(١)

برقية من الاميرال سيمور إلى مجلس الاميرالية البريطانية
الاسكندرية في أول يولييه سنة ١٨٨٢ الساعة ٧ ١/٢ صباحا

لقد شوهدت مراكب مشحونة بالمواد المفرقة على مسافة قليلة من الجسر (قناة السويس) وفي هذا الموضع معسكر كبير من البدو . ومعسكر الزقازيق تلقى أوامر بمحشد ٣٠ ألف رجل مزودين بالنفوس والزنايل (يعنى أن النية معقودة على سد قناة السويس) . وتلقت الاهالى تعليمات أن يتزودوا بالأسلحة . وفي الاسكندرية وحصونها مايربو على عشرة آلاف جندي . والامداد والمساكر الاحتياطية زرد إليها بلا انقطاع . ويقول عرابي إن النبي يزوره كل ليلة ويأمل أن تقع الاساطيل المتحدة في فخ ينصبه ذلك أن يفرق مراكب محملة بالاحجار في البوغاز . ٩

(٢)

برقية من مستر كارثرايت Cartwright قنصل جنرال إنجلترا
إلى لورد جرافيل وزير خارجيتها

الاسكندرية في ٢ يولييه سنة ١٨٨٢

سيدى اللورد

أتشرف بأخباركم أن مجلس النظار قرر فى جلسته التى عقدها
أمس أنه نظرا لما شوهد من اتخاذ بعض استعدادات فى البوارج
الحرية أخفى من الواجب رفع عريضة إلى السلطان يتمس فيها
الترخيص بتعمير الحصون التى كان أوقف العمل فيها بأمر شاهانى ؟

(٣)

برقية من مجلس الاميرالية الانكليزية للأميرال سيمور

الاميرالية فى ٣ يولييه سنة ١٨٨٢

امنعوا كل محاولة يراد بها غلق مدخل البوغاز الموصل لليناء .
وإذا بوشر إعادة العمل فى الحصون أو نصبت فيها مدافع جديدة
فأخبروا قائدها الحربى بأن لديكم أوامر بالحيولة دون ذلك . وإذا لم
يوقف العمل فى الحال فدمروا الحصون وأسكتوا مدافعها إذا أطلقت
النيران . وهذا بعد أن تعطوا الأهالى والسفن التجارية والحرية
الأجنبية الملهة الكافية ؟

(٤)

برقية من الاميرال سيمور إلى مجلس الاميرالية البريطانية

الاسكندرية في ٤ يولييه سنة ١٨٨٢

نصب مدفان جديدان في قصر فاروس (قلعة قايتباي) في
الليلة الماضية . وقوى حائطه المواجه للبحر أيضا . ويفضل القنصل
الجنرال أن أوجل توجيه الانذار إلى صباح يوم الخميس لكي يحد
الأوروبيون فرصة للهجرة من القاهرة . ولم يحدث أى تغيير في الوجيهات
المشرفة على البحر . وطلب الاميرال الفرنسى استعلامات فوردت له
الاجابة من القائد الحربى ومن عرابى اللذين أرسلوا الاميرال المصرى
ليؤكد أنه ليس هنالك فكرة بعمل سد ما فى مدخل البوعاز ؟

* * *

وفى ٥ يولييه سنة ١٨٨٢ أخبر مسيو فريسنيه Freycinet رئيس
مجلس وزراء فرنسا لورد ليونز Lyons سفير إنجلترا فى باريس وهذا
بدوره بلغ لورد جرانفيل Granville أنه ورد إليه فى الصباح بريقة
من الاميرال كونراد Conrad قائد الأسطول الفرنسى بالاسكندرية
عن التعليقات التى تلقاها الاميرال سيمور من أجل النيات
التي نسبت للحكومة المصرية وقيل عنها انها موجبة ضد الاسطولين
الفرنسى والانجليزى . ثم قال الوزير الفرنسى للسفير الانكليزى
إنه جمع مجلس الوزراء لبحث المسألة فقرر أن الحكومة الفرنسية
لاستطيع أن تعطى تعليمات للاميرال كونراد أن يكون مع الاميرال

سيمور وأن يمنع بالقوة بناء الحصون أو نصب المدافع في ميناء الاسكندرية .

واستطرد مسيو فريسينيه فقال إن الحكومة الفرنسية تعد التصرف بهذه الكيفية عملا عدائيا هجوميا ضد مصر والاشتراك فيه لا يمكن أن يكون بدون اخلال بنص الدستور الذى يحظر الدخول فى حرب بدون موافقة مجلس النواب والشيخ . ولأنه بناء على ذلك قد أرسل إلى الأميرال كونراد تعليمات تقضى عليه ألا ينضم إلى الأميرال سيمور إذا وجه هذا انذارا نهائيا للمصريين يختص بتحسيناتهم وأن يراجع إذا صمم الأميرال سيمور على اطلاق المدافع . ١٠ هـ

* * *

وبذلك أصبحت انجلترا مطلقة الدين وحدها أمام مصر . وهذا الموقف هو الذى كانت تتوق إليه انجلترا لتنفيذ مقاصدها والحصول على بغيها التى طالما تمنها من أزمان بعيدة وقد مهد المصريون لها مع الأسف طريق الوصول إلى أمنيتها هذه بخرقهم ونزقهم وسوء تصرفهم .

(٥)

برقية من مستر كارتررايت إلى لورد جراشيل

الاسكندرية فى ٥ يولييه سنة ١٨٨٢

سيدى اللورد

أشرف باخبار سعادتك أن وكيل نظارة البحرية (المصرية)

توجه أمس بعد الظهر للأميرال سير بوشامب سيمور Beauchamp Seymour وقدم له تقريراً مطمئناً من جهة وضع العوائق في مدخل ميناء الاسكندرية وبعد ذلك بقليل تلقى الأميرال إجابة بالكتابة من قومندان الحامية وفيما يلي نصها :

« تلقى الخديو صباح اليوم رسالة برقية من السلطان تملته بأنه هو ووزرائه مسئولون إذا لم نوقف الأعمال في الحصون لأن أعمالاً كهذه ندعو الأسطول الانجليزى لضرب الاسكندرية . وسيجتمع مجلس الوزراء في هذا الصباح لا بلاغه هذا الأمر العالى للعمل بمقتضاه . »

(٦)

برقية من الأميرال سيمور إلى الأميرالية البريطانية

الاسكندرية في ٦ يولييه سنة ١٨٨٢

لقد أكد لي القائد العسكري ردا على مذكري المؤرخة بتاريخ اليوم بأنه لم يوضع أى مدفع جديد في الحصون ولم ينجز عمل ما . وصادق درويش باشا على صحة هذا التصريح . ولم تحدث أية إشارة تدل على القيام بأعمال جديدة من بعد ظهر أمس . ويجوز أن ذلك إنما كان امتثالا لأمر السلطان . وإنى لا أتردد في الضرب إذا واصلوا هذه الأعمال . وقد تلقى الأميرال الفرنسى الأوامر بالتراجع هو وبوارجه إذا بدىء بالعدوان ؟

وفي ٧ يولييه سنة ١٨٨٢ وجه قناصل الدول الكبرى الجزائلية
بالاسكندرية إلى الأميرال سيمور المذكرة الاجماعية الآتية :-

(٧)

الاسكندرية في ٧ يولييه سنة ١٨٨٢

إن وفرة مصالح رعايانا الكثيرى العدد بالاسكندرية الآن
والذين لهم أملاك جسيمة جداً تضطرننا أن نستعلم من جنابكم عما إذا
كنتم تعتبرون إجابة الحكومة المصرية الخاصة بالتحصينات مرضية .

ونحن نرى أنه في مقدورنا أن نحصل على تأكيدات منها
ترضيكم الرضاء التام إذا كان لم يزل يترامى لكم أن الاجابة المذكورة
غير وافية . وستصيرونا شاكرين غاية الشكر إذا عرضتمونا أن هذه
المسألة قد سويت وانتهت . أما إذا كان الامر على تقيض ذلك
فأفيدونا عن نغمتد عليه في ترجيل رعايانا . وعلى أى حال لا يمكن
أن يتم ضرب الاسكندرية بدون أن يجر أخطاراً جمّة على المسيحيين
والأهالى معا ولا بدون تدمير مالا يحصى من أملاك الأوروبيين .
وستقبل بمزبد السرور تكرمكم برفع هذه الملاحظة إلى حكومتكم قبل
أن تفعلوا أوامرهما التي صدرت بشأن هذه المسألة .

الامضاءات

دى فورجس . بارون سورما . دى مارتينو

دى لكس . بارون كسجك

وفي ٧ يولييه سنة ١٨٨٢ أجاب الأميرال سيمور على هذه
المذكرة الاجماعية بالخطاب الآتى :-

(٨)

من ظهر المدرعة انشيسيل باسكندرية ٨٢/٧/٧

سادق .

اتشرف باخباركم بوصول مذكرتكم الاجماعية التي
بعتم بها الى اليوم تسألونى فيها عما إذا كنت مرتاحا من اجابة القائد
العسكرى على خطابى الذى أرسلته اليه أمس . وانى أشكركم كثيرا
على ما عرضتموه على من الحصول من القائد العسكرى على اجابة
مرضية اذا كنت أرغب فى تأكيدات منه أوفى من الأولى كما أرجو
أن تقبلوا وافر شكرى على الاقتراح الذى تطفنم بتقديمه الى .
فاذا كان نفوذكم لدى القائد العسكرى يمكن أن يجعله على
التصرف باخلاص وبحول دون استمراره فى أعمال التحصينات فانكم
بذلك تصيبون الهدف المقصود . لأن التأكيدات المكتوبة منها تكن
عبارتها ، قليلة القيمة بالنسبة للمصالح التى اؤتمنت عليها .

ويلزمنى أن ابين لكم أنى لا أنوى ولا قلت مطلقا انى أقصد
أن أضرب مدينة الاسكندرية فان أعمال الحرية إذا أمست ضرورية
فتسوجه الى الحصون ولا أرى سببا للخوف من وقوع تلف
يصيب الأملاك الخصوصية الى أتم من أجلها فى وجل . وسأبلغ
حكومة جلالة الملكة الملاحظة الى لقم نظرى اليها فى الفقرة الأخيرة

من خطابكم . ويجب أن أحرص مع التدقيق على نص بلاغى الذى أرسلته الى القائد الحربى حينما تحدث أدنى محاولة يقصد بها العودة إلى أعمال دفاعية .

وعلى أى حال فسيعطى انذار نهائى مدته ٢٤ ساعة فقط . واتشرف الخ . ٩ .
الامضاء

بوشامپ سيمور
أميرال ورئيس القيادة

* * *

ويرى من مذكرة التفاصيل الجزالية السالفة أنهم بذلوا كل جهودهم فى سبيل تجنب وقوع الحرب وهذا أمر يستوجب لهم الشكر كما يرى أيضا من إجابة الأميرال التصلب لبسد الباب أمام كل تسوية يمكن الاهداء اليها . لأنه فى اليوم نفسه أرسل بلاغا إلى القائد الحربى هذه صورته :-

(٩)

من ظهر البارجة انقشيل فى ٧ يولييه سنة ١٨٨٢
صاحب السعادة .

أتشرف باخباركم انى علمت من طريق رسمى أن مدفعين جديدين نصبا أس فى خطوط الدفاع المشرقة على البحر وأن بعض استعدادات حرية على وشك النجاز فى واجهة الاسكندرية الشمالية الفرض منها تهديد الاسطول الذى تحت قيادى . فيجب على والحالة هذه أن اعلنكم انكم ان لم تأمروا بالاقلاع عن هذه الاعمال

أو تكونوا قد أمرتم بالاقلاع عنها يكن من واجبي ضرب
الحصون الجارى فيها البناء .

واتشرف بأن أكون الخ . ٩

الامضاء

بورشامب سيمور
أميرال ورئيس القيادة

وأرسل اللواء طلبه عصمت باشا القائد الحربى الاجابة الآتى نصها :-

(١٠)

الاسكندرية فى ٢٠ شعبان سنة ١٢٩٩ - ٧ يولييه سنة ١٨٨٢ م :-

عزيرى الاميرال الانجليزى .

أتشرف بأن انبثكم بوصول خطابكم المؤرخ يوم ٦ يولييه الذى
تذكرون فيه انه اتصل بكم تركيب مدفعين وأن اعمالا أخرى على
وشك أن تقام على شاطئ البحر . فردا على ذلك أريد أن أؤكد لكم
أن الاخبار المذكورة عارية عن الصحة وأن هذه الاخبار مثل خبر
التهديد بسد مدخل البوغاز الذى اتصل بكم وتحققتم كذبه .

هذا وأنى لوافق من شريف عواطفكم المتشعبة بروح الانسانية .

وأرجو قبول احتراماتى ٩

الامضاء

طلبة عصمت

قائد القسوة

وأرسل الحيدىو توفيق إلى الباب العالى فى ٧ يولييه

سنة ١٨٨٢ م البرقية الآتى نصها :-

الاسكندرية في ٧ يولييه سنة ١٨٨٢ .

من اليوم الذى انقطعت فيه الأعمال حسب أمر جلالة
السلطان لم نقم بأى عمل إلى الآن . وقد أذيعت اشاعة مضمونها
أن الحكومة تنوى سد مدخل ميناء الاسكندرية وانها تتخذ غير ذلك
من التدابير الحرية . وقد توجه قسلا انجلترا وفرنسا الى راغب باشا
للقوف على الحالة منه فأكد لها أن هذه اشاعات ليس لها أدنى
نصيب من الصحة وان فكرة هذه التدابير لم تخطر بالبال . وبما أن
ميناء الاسكندرية مزدحمة بالبوارج الحرية فهذه الحالة تخول لكل
بارجة من هذه البوارج حجز كل سفينة تحمل مدافع . وقد أخطر
رئيس النظار ناظر البحرية بذلك ، فخرج القنصلان راضيين من هذا
البيان . وفي الوقت نفسه كتب الاميرال الى قائد الجنود بالاسكندرية
خطابا صرح فيه بأنه مادامت النية معقودة على سد الميناء فيلزمه هو
أيضا أن يتخذ احتياطات لوقاية نفسه . فأجابه القائد بأن هذا الخبر
ليس له صحة . وذهب بعد ذلك ناظر البحرية وأكد للأميرال الانجليزى
هذه التأكيدات فشكره ووعد أن يخبر بذلك حكومته ؟ الامضاء

محمد توفيق

* * *

ولكن كل هذه التصريحات السلبية المطمئنة لم تكف الاميرال
سيمور وصمم تصميمها نهائيا على ضرب قلاع المدينة بقنابل اسطوله
متدرا بالأسباب التى سبق ذكرها وأرسل البرقية الآتية :-

(١٢)

برقية من الاميرال سيمور الى الاميرالية الانجليزية .
الاسكندرية في ٩ يوليه سنة ١٨٨٢

ايما الى برقيتي المؤرخة في يوم ٤ يوليه سنة ١٨٨٢ أقول
انه ليس هنالك أدنى ريب فيما يتعلق بالتسليح . واني سأخطر قناصل
الدول الاجنبية غدا عند شروق الشمس واشرح في الضرب بعد ٢٤ ساعة
ان لم تسلم اتي الحصون القائمة على البوغاز والتي تشرف على مدخل الميناء ؟
* * *
وعزز مسر كارترايت هذه البرقية بالبرقية الآتية :-

(١٣)

برقية من مستر كارترايت الى وزير الخارجية البريطانية .
من ظهر البارجة هلكن Helicon بالاسكندرية في ٩ يوليه سنة ١٨٨٢
سيندى اللورد

اتشرف باخباركم انه اتصل بالاميرال سير بوشامپ سيمور
ان مدفعين جديدين نصبوا صباح اليوم بمحس السلسلة القائم تجاه
الميناء الجديدة .

ولا يستطيع الاميرال أن يلزم الصمت حيال هذا العمل
العدائي فقرر أن يطلق النار عند شروق شمس يوم الثلاثاء ١١ الجاري .
ولقد أخطرت في هذا المساء القناصل الجنرالية والتخديرو

ودرويش باشا . وسأعمل الترتيبات اللازمة لترحيل جميع الرعايا
البريطانيين على البواخر في هذا المساء أو غدا صباحا ؟

ويؤخذ من شهادة الضابط الذي نقل الخبر الى الاميرال أن
المدفوعين المذكورين كانا من الطراز القديم أى انهما لم يكونا من نوع
الشحنة بل كانا من المدافع المساء التي ليس لقتالها قوة لاصابة المرمى
البعيد حتى تصيب هذه البوارج وتخترق دروعها فتحدث الضرر لهذه
السفن . وحسن السلسلة هذا من ناحية أخرى واقع خارج منطقة القتال
ولذلك فانه عندما حشدت سفن الأسطول عصر يوم الضرب لاطلاق
قنابلها على حصن قايتباى لم تعر حصن السلسلة أدنى التفات مع انه
صوب اليها بعض القنابل . فقدر الاميرال كان في غير محله .

ويقول احمد شفيق باشا في مذكراته ص ١٦٣ أن مستر
كلر ترايت أشار على الخديو توفيق أن يزل هو وأسرته الى احدى
البوارج الانجليزية ليكون في مأمن مما عساه أن يصيب سراى
رأس التين لأنها عرضة لقذائف المدافع فأبى . وهذه المشورة
لم تتون في الكتاب الأزرق عن سنة ١٨٨٢ م غير أنه يؤخذ من
رسالة برقية مرسلة من مستر كلر ترايت الى لورد جراڤيل في ٧ يولييه
سنة ١٨٨٢ م أن هذا الأمر حدث فعلا . واليك نص هذه الرسالة :-

(١٤)

الاسكندرية في ٧ يولييه سنة ١٨٨٢ .

أتمشرف باخبار سعادتك أن سمو الخديو أرسل في طلب سير

أوكلاند كلفن Auckland Colvin في ضحوة هذا اليوم ليعرض عليه خطة السير التي ينوى سموه اتخاذها في هذه الظروف .

فلقد نوى سموه في الحالة التي يستقر فيها الرأي على الضرب أن يبقى في الديار المصرية . وهو يقول في تعليل ذلك انه لا يستطيع أن يترك جميع أولئك الذين ظلوا في معيته وأولوه في غضون هذه الفتنة لإخلاصهم ، كما أنه من جهة أخرى لا يستطيع أن يهجر مصر إذا أغارت عليها دولة أجنبية إذ يقال حينئذ انه بارحها لينجو بنفسه . أما إذا احتلت الترك مصر وصادف هذا الاحتلال مقاومة فان سموه ودرويش باشا يعلنان الجيش عندئذ بأنهما بصفتهما من رعايا السلطان المخلصين لجلالته لا يكونان قد أدبا واجبها إذا عصدا هذه المقاومة . وفي هذه الحالة يتطلقان بأحسن الوسائل الممكنة الى يمتح درویش باشا . وأعرب سموه عن نيته في الانصراف هو ودرویش باشا الى أحد القصور القائمة على شاطئ المحمودية اذا كان الضرب من جانب الأسطول الانجليزي وانه بقدر الاسراع في انجاز الضرب يقل الخطر الذي يقيق بشخص الخديو .

وكان سموه أثناء هذه المقابلة رابط الجأش يتكلم بصوت هادى واختتم الحديث بتوجيه الرجاء الى سير أوكلاند أن يبلغ قراره هذا الى سعادتك .

ولقد عقدت العزم على أن أخبر درویش باشا انه في حالة حدوث ضرب تلقى حكومة صاحبة الجلالة البريطانية عليه مسئولية

سلامة الحديو الشخصية وأمنه .

الى الشرف . الخ .. ٩
الامضاء
كارتر ايت

وفي اليوم التالي ورد الى مستر كارتر ايت من لورد جرانفيل
الرد بالبرقية الآتية :-

(١٥)

وزارة الخارجية البريطانية في ٨ يولييه سنة ١٨٨٢
تصادق حكومة صاحبة الجلالة البريطانية على البلاغ الذي
أخبرتمونا عنه يبرقتمكم أمس التي ذكرتم فيها أنكم تنوون عندما تدعو
الحالة لضرب الحصون أن تلقوا على عاتق درويش باشا مسئولية
أمن الحديو وسلامته .

وانا لكم . الخ ...
الامضاء
جرانفيل

* * *

ومن المرجح أن المشورة التي عرضت على الحديو بضيافته
على ظهر سفينة حرية انكليزية كانت لغرض سياسي لاشيء آخر .
لأن وجود حاكم البلد في احدى سفنهم يجعل لضربهم صبغة
شرعية كما حدث بعد ذلك في حركاتهم العسكرية التي انتهت الى
احتلال البلاد .

وعلى كل حال فاجابة الحديو ثشره ، ولكن بما يؤسف له
أنه لم يتبع هذه الخطوة معهم الى النهاية .

وأرسل مستر كارترائت الى قناصل البول الجبرالية وفقاً للبرقية
التي بعث بها الى لورد جرايفيل المذكورة الآتية :-

(١٦)

الاسكندرية في ٩ يولييه سنة ١٨٨٢

سيدى

أتشرف باخباركم أنه من المرغوب فيه إعلان كافة الأشخاص
التابعين لحكومتم بأن يكونوا فى البواخر الراسية فى الميناء فى مدة ٢٤
ساعة تهر من تاريخ هذا الإعلان ٩
وكتب أيضاً مستر كارترائت الى درويش باشا الخطاب الآتى :-

(١٧)

الاسكندرية فى ١٠ يولييه سنة ١٨٨٢

الى صاحب السعادة

بناء على بلاغ الاميرال سير برشامب سيمور الذى وجهه الى
قائد الاسكندرية الحربى فى صباح هذا اليوم أراى بصفى وكيل وقنصل
جنرال حكومة صاحبة الجلالة البريطانية بالنيابة ، مضطراً الى أن
أخلى وكالة جلاتنها بالاسكندرية وأن أقطع مؤقتاً العلاقات التى كانت الى
الآن بينى وبين نظارة الخارجية المصرية .

ثم أخبركم بأتى مكلف بأن أعلن سعادتم بالضرورة الماسة
لكفالة سلامة سمو الخديو فى كل الظروف ، وان حكومة جلالة الملكة
تأمل من سعادتم أن تشملوا وقاية سموه وأسرتة بكل أنواع

الاحتياطات التي تستدعيها الأحوال باستعمال نفوذكم المستمد من نيابكم عن جلالة السلطان . وانكم لتعلمون ان سموه لا ينكص أمام الأخطار الجسيمة التي يعرضه لها موقفه الحال بسبب تحمله أوفر نصيب مما تفرضه عليه الواجبات . لحكومة صاحبة الجلالة البريطانية كلفتني أن أعلم دولتكم بأن عليكم — بحسب رأيها — مسئولية وقاية سموه من كل خطر ودرء الأخطار التي يمكن أن تحيط بسموه في أثناء هذه الحوادث ؟

فأجابه دويش باشا بالجواب الآتي :-

(١٨)

الاسكندرية في ١٠ يولية سنة ١٨٨٢

عزيزي نائب القنصل الجنرال

تسلمت خطابكم المؤرخ في ١٠ الجاري الذي شرعتموني بارساله إلى ويمكنني أن أؤكد لكم أني بذلت كل جهدي في القيام بالمهمة التي تفضل جلالة السلطان وعهد بها إلى .

ولقد عز علي أن أدرك السبب الذي من أجله انساق الأسطول الانكليزي لحافة منذ أمس الى ابداء هذه النيات العدوانية بعدد أن لبث مدة مدينة ملقياً مراسيه في ميناء الاسكندرية لم يظهر في خلالها إلا اميالا سلبية .

إن العلائق الودية بين السلطنة العثمانية وبريطانيا العظمى مازالت باقية . وحيث إن مصر هي إحدى ولايات السلطنة فكان

في استطاعة جناب الأميرال أن يعرض أولاً وجوه شكايته التي استوجبت التدابير التي اتخذها ، بطريقة ودبة . وكان في الامكان مراجعتها والنظر في وسيلة للملافة الشر . ومتى ظهر مرتكبو الأعمال التي أوجبت الشكوى يكن في الاستطاعة إزال العقاب بهم .

ويبدو لي اننا لو تصرفنا بهذه الطريقة لكان الامر قد آل إلى توطيد العلاقات الودية بين المملكتين عوضاً عن الانسياق في تيار العدوان .

ولقد أتاحت الفرصة لسعادة راغب باشا ولوكليل نظارة البحرية ان يؤكد لكم وللأميرال أنه لم يخطر يبال الحكومة المصرية أن تعمل أى عمل يكدر صفو هذه العلاقات الحسنة .

ومن المهم البحث عن تقع عليه المسؤولية اذا كان جواب تصريحات حكومة متشعبة بزوح المحبة وحسن النية قد قدمت كل الوعود والتأكيدات الضرورية ، هو القيام بأعمال عدوانية لاتستند الى المبادئ التي تسود العلاقات بين دولتين متحابتين .

أما التنبيه الذي وجهتموه الى أن أكفل بكل مالى من الوسائل سلامة سمو الخديو فيجب على أن ألفت أنظاركم الى أنه ليس من الصواب إيجاد تمييز بين شخصية سمو الخديو توفيق باشا السامية وحكومته . وإنه لمن الطبعي جداً ان سموه مازال يعنى بسلامة وهناء البلاد التي يحكمها أكثر مما يعنى بسلامة شخصه .

وتفضلوا بقبول الخ... ٩
مندوب جلالة السلطان
الامضاء
درويش

وأرسل الأميرال سيمور من جهة أخرى إلى قائد الاسكندرية
الحربي الرسالة الآتية :-

(١٩)

من ظهر البارحة اثنتييل بالاسكندرية في ١٠ يولييه
سنة ١٨٨٢

صاحب السعادة .

اتشرف باخبار سعادتك أنه نظراً لحدوث استعدادات
حرية آخلة في الازدياد منذ يوم أمس في حصون السلسلة وفاروس
(قايتباي) وصالح . وهذه الاستعدادات موجهة بالطبع الى
الاسطول الذي تحت قيادتي ، قد عقدت العزم على أن أنفذ غداً
(١١ الجاري) عند شروق الشمس العمل الذي أعربت لكم
عنه في خطابي المؤرخ يوم ٦ الجاري إن لم تسلبوا لي حالاً قبل
هذه الساعة البطاريات المنصوبة على برزخ رأس التين وعلى شط
ميناء الاسكندرية الجنوبي لمنع التسلح بها .

ولي الشرف الخ... ٩
الامضاء
سيمور

ولكى يستطيع القارىء أن يتبين الخطر الطفيف الذى كان الأسطول الانكليزى مستهدفاً له أورد هنا شهادة رجل انكليزى هو مسنر رويل Royle الذى كان محامياً بالاسكندرية ثم عين مستشاراً بمحكمة الاستئناف الأهلية . فقد ذكر فى مؤلفه ذى اچيشيان كامپنز The Egyptian Campaigns ص ٦٣ هذا الانذار النهائى ثم قال : إن الخطر الذى كانت تسهدف له بوارج الأدميرال من جراء الاستمدادات المصرية لم يكن إلا خطراً وهمياً فى ذلك الوقت . ولو فرضنا وكان خطراً حقيقياً لكان فى الامكان السلامة منه والبعد عنه اذا غير الأدميرال موقف سفنه تغييراً طفيفاً .

وقد أسمى فى الوقت نفسه تهديده بضرب الحصون بعد حوادث ١١ يونيه سنة ١٨٨٢ من بعض الوجوه ضرورياً حتى لو لم يكن ذلك إلا لاعادة كرامة الأوربيين . وفضلاً عما ذكر فانه كان يهدد بهذا الضرب أول خطوة فى سبيل ملاشاة سطوة عراقى وجيشه الذى كان محشوداً إلى حد كبير بالاسكندرية . ٥١

والقسم الأول من هذا الكلام يطابق الحقيقة . أما القسم الثانى فالغرض منه تلطيف هذا الفعل بادماج الكرامة الاوربية فيه حتى كأن الدول الأخرى قد فوضت انجلترا فى القيام بهذا العمل نيابة عنها .

وأرسل أيضاً مستر كارترابت إلى راغب باشا رئيس النظار

الخطاب التالي :-

(٢٠)

من ظهر البارجة تانجور Tanjore بالاسكندرية في ١٠ يولييه سنة ١٨٨٢

سيدى الوزير .

بناء على البلاغ الذى قدمه الاميرال سير بوشامپ سيمور فى هذا الصباح الى القائد الحربى بالاسكندرية ، أرانى مضطراً الى أن أخلى قسيلة صاحبة الجلالة البريطانية وأن أقطع الآن العلائق التى كانت بين سعادتك وبين شخصى بصفى اتى وكيل وقصص جنرال بالنياة عن جلالتها فى مصر .

ولى الشرف الخ...
الامضاء
كارتر ايت

* * *

ولما تلقى راغب باشا هذا البلاغ ولم يكن قد اطلع من قبل على الانذار النهائى طلب من مسيو دى مارتينو de Martino قنصل جنرال ايطاليا وأقدم السفراء أن يتكرم باستدعاء زملائه الفرنسى والامانى والنساوى والروسى على ظهر المدرعة الايطالية (كاستلفيداردو Castelfidardo) فى محل وجودها ليقوموا بمساع أخرى لدى الاميرال . وفلا لبى القنصل الطلب واستدعاهم ولكنهم بعد أن اجتمعوا ظهر لهم أن الوقت قد فات .

ولما ذهب راغب باشا بصحبة عبد الرحمن بك رشدى ناظر المالية وتجران بك سكرتير مجلس النظرار وقابلوا مسيو دى مارتينو فى

نحو الساعة الحادية عشرة صباحا لم يستطع الا أن ينصح راغب باشا أن يسعى هو بنفسه لدى الأميرال فتوجه رئيس النظار ورفيقاه الى البارجة انشميسيل وهناك تلقى الانذار النهائى . وبعد مناقشة طويلة قبل الأميرال تلطيفا فى شروطه لم يكن فى الحقيقة إلا تغيرا طفيفا وهو ينحصر فى ازالة كافة المدافع التي فى الحصون المشرقة على البحر وأن يقوم بهذه العملية الجنود المصرية تحت اشراف ضباط من الانكليز وبارح راغب باشا ورفاقه سفينة الأميرال بعد أن وعد بارسال الاجابة فى المساء وتوجهوا فى الحال الى قصر رأس الثين وعرضوا على الخديو ودرويش باشا نتيجة سعيهم . فطلب الخديو عقد جلسة غير عادية لفحص الموقف وتمحيصه حضرها (١) الخديو توفيق (٢) المشير درويش باشا (٣) قدرى بك سكرتير المشير (٤) السيد احمد أسعد عضو الوفد العثماني (٥) اسماعيل باشا راغب رئيس النظار وناظر الخارجية (٦) احمد باشا راشد ناظر الداخلية (٧) عبد الرحمن بك رشدى ناظر المالية (٨) أحمد باشا عرابى ناظر الجهادية والبحرية (٩) على باشا ابراهيم ناظر الحقانية (١٠) سليمان باشا اباضه ناظر المعارف (١١) محمود باشا الفلكى ناظر الاشغال (١٢) حسن باشا الشربعى ناظر الأوقاف (١٣) لطيف باشا من نظار البحرية السابقين (١٤) حافظ باشا من نظار المالية السابقين (١٥) محمد باشا سلطان رئيس مجلس النواب (١٦) اسماعيل باشا حقي ابو جبل عضو مجلس الشيوخ (١٧) محمد باشا سعيد عضو مجلس الشيوخ (١٨) محمد باشا كامل وكيل نظارة البحرية (١٩) قاسم باشا من وكلاء نظارة

البحرية السابقين (٢٠) محمد باشا المرعشلى مدير التحصينات العام السابق (٢١) محمود باشا فهمى مفتش التحصينات العام (٢٢) طلبة باشا عصمت القائد الحربى للاسكندرية (٢٣) تيجران بك سكرتير مجلس النظار .

وكانت الجلسة متحمسة كثيرا والمناقشة حادة جدا والآراء متضاربة إلى أقصى حد . ويبدو أن حافظ باشا واسماعيل باشا ولطيف باشا كان من رأيهم التسليم بشروط الأميرال . ويقول أحمد باشا شفيق فى مذكراته ص ١٦٢ إن درويش باشا توجه إلى طاية القنار مع محمد ياور افندى من ضباط الحرس الحديو لاختبارها واختبار المدافع المنصوبة فيها وقال فى هذا المجلس إنه بصفته من ضباط المدفعية يقرر أن الحصون والمدافع التى بها لا تستطيع مطلقا أن تقاوم مدافع المدرعات الانكليزية . وقال أيضا انه لو وثق بأن مصر تستطيع المقاومة لتولى بنفسه قيادة جيشها ولذا نصح لعراي باشا بقبول طلبات الأميرال سيمور .

وأذكر هنا حجة أخرى قيمة جدا هى ماقاله مرعشلى باشا مدير التحصينات العام السابق الذى حضر هذا الاجتماع الحافل وأبدى رأيه فى هذه المشكلة ونحن نرى رأيه هنا رأى رجل عاقل جدا فضلا عن أنه اخصائى ملم بمهنته تمام الاسلام . ولكن بما يؤسف له أشد الأسف أن الآراء الحصيفة التى يمثّلها رأى هذا الخبير تهمل ولا يعمل بها فى وسط ساد فيه التهمس . وهاك قطعة من تقريره الذى قدمه الى اللجنة التفتيش التى تألفت لمحكمة المدينين فى هذه الحوادث وفيه اثبت هذا الرأى ، تثبتا هنا بنصها قال :-

في يوم الأحد ٢٢ شعبان سنة ١٢٩٩ (٩ يولية سنة ١٨٨٢) وردت لنا بوصلة من سعادة أحمد باشا رشيد ناظر الداخلية هذه صورتها :

بناء على التلغراف الوارد لنا من عطوفتو رئيس مجلس النظار باسكندرية مقتضى توجه سعادتك لاسكندرية بالوابور المخصوص القائم من مصر يوم تاريخه بعد الظهر بربع ساعة للذاكرة في مسألة مهمة . فالأمل التشريف بالحضور لمحنة مصر في الميعاد المرقوم لأجل التوجه معنا نحن وبعض سعادات الذوات المتوجهين أيضا أفندم ؟

فبناء على هذه البوصلة قد توجهنا إلى الاسكندرية في ليلة ٢٣ شعبان سنة ١٢٩٩ (١٠ يولية سنة ١٨٨٢ م) وفي صباح اليوم المذكور باجتماع المجلس بسراى رأس التين مركبا من هيئة النظار والذوات الملكية والجهادية وجد إعلان وارد من أميرال دوناتمة الانكليز مذكور به أنه بعد صدور أمر الدولة العلية بتوقيف تصليح الاستحكامات وتركيب المدافع والتجهيزات الحربية الجارية بمعرفة عرابى ورققاء ضد الدوناتمة قوماندانتي وصدور أمر الحضرة الخديوية إليهم بذلك وامتثالهم لهذا الأمر لم يزالوا جارين التجهيزات ليلا ونهارا لغاية أمس وأجروا تركيب ثلاثة مدافع بأحدى الطوابى فلعدم امتثالهم للأوامر وبناء على الأمر الصادر لى من دولتى مجبور بضرب الطوابى باكر صباحا وإلا يصير نزول المدافع من على قناديقها للأرض مؤقتا حتى تنتهى المسئلة . ومن أجل ذلك توجه عطوفتو راضب باشا مع سعادة عبد الرحمن بك ناظر المالية

وسعادة قاسم باشا وكيل البحرية سابقا إلى الاميرال بالبحر لأجل
المرسى معه عن ذلك . وبعد عودتهم عرفوا بأن الاميرال لم يزل
مصمما على رأيه فلذلك انعقد المجلس ثانيا بعد الظهر تحت رئاسة
الحضرة الخديوية . وبالمداولة فيه كان العرض للأعتاب من سعادة
عمود باشا الفلكي عن لزوم النظر في أخف الضررين إما قبول
الضرب أو نزول المدافع . ولذا يلزم السؤال عن أحوال الطوابى
ومدة مقاومتها لمقنوفات مدافع الدونامة من مرعشلى باشا حيث
أنه خبير بذلك . فبوقة سألتى حضرة الخديو عن ذلك فكان
جوابى إن صاحب الوظيفة الآن عمود فهمى يستل منه . ويتوجه
السؤال إليه أجاب بأن طوابى سواحل اسكندرية تقاوم مقنوفات
الدونامة مدة ثلاثة شهور . فبوقة فهمت من مجاوبته أنها إما أن تكون
على جمل منه أو لغرض تقوية عزم العصاة . وباعادة استفسار
الحضرة الخديوية منى عن ذلك أجبت بأن طوابى اسكندرية
لا تتحمل أكثر من أربع وعشرين ساعة إذا كان الضرب مستمرا
وفى ظرف أربع أو خمس ساعات تتخرب الطوابى وأغلب المدافع
تلقى على الأرض من إصابة المقنوفات لكونها مكشوفة ويكون
بداخل الطوابى مثل مجرة من العساكر القتل المصايين من الكلال
والشربالات ومن انتشار قطع الأحجار التى تصادمها الكلال فى الأبنية
العالية . وهذا لكون الطوابى المذكورة مبنية من زمن مديد
بالنسبة لمقاومة الأسلحة القديمة . والأسلحة الجديدة لها تأثير أكبر

من الاسلحة القديمة . والمراكب الخشب تغيرت بمراكب زرخ .
وأما تلك الطوابى فانه لم يحصل فيها تغير . فاذا كان التصميم على
الضرب فالأحسن لأجل حقن دماء العساكر لا يلزم دخولها بالطوابى
وقت الضرب . فكانت المعارضة لى من محمود فهمى بأقواله إنه حضر
محاربة حدود الصرب وانه نظر تأثيرات كلل وشرنابات بكثرة
وما كان يخاف منها . كذا عارض طلبة أيضا بقوله نحن يلزمنا
أن نذبح بكلة الانكليز تحت المدافع ولا نتركها بدون عساكر .
وكذا عارض عرابى بقوله انه إذا تركنا الطوابى بدون عساكر
فان الانكليز بعد أن يخربوها فى الحال توضع بها بندريات الانكليز .
وقال أيضا هل كل الانجليز تؤثر بطواينا وكللنا لا تؤثر بالمراكب .
فكانت المجاوبة منى لعرابى أن المدافع التى بطواينا تأثيرها فى المراكب
قليل جدا وأغلب المدافع من الطراز القديم ولا يكون لها أدنى تأثير
فى مراكب الزرخ وفضلا عن ذلك فأن مدافعهم وعساكرهم فى داخل
أود من الحديد وأما عساكرنا ومدافعنا فأنهم فى الكشف تنزل عليهم
الشرنابات والكلل بكثرة مثل المطر وتلفهم فى أقرب
زمن . وأما القول عن الانكليز انهم بعد تخريب الطوابى
يضعون البندرية بها فهذا ليس من السهل بما أنهم ليسوا هم من
الطير حتى يمكنهم من مسافة نحو الألف وخمسة مائة متر أن يطيروا
ويدخلوا الطوابى لأنهم متى أرادوا التوجه على الطوابى يلزمهم
تزييل عساكرهم فى صنادل لأجل طلوعهم على الساحل . فبرقتها

يلزم على العساكر التي في البر أن يستعدوا للدفاع وعدم ترك
الانكياز لأن يطلعوا على البر . وفي ذلك صعوبة جدا للهاجين
بالنسبة لفن الحرب . فما كان يقبل أقوالنا وطعن في حقنا . ونحن
كذلك جاوبناه بمالزم . وترتب على ذلك أن اكتسبنا زيادة
عداوة مع المذكورين علاوة على العداوة الأصلية الناتجة منها اخلاؤنا
من الوظيفة . وكانت مجاوبتنا لهم بما ذكر لأجل تخويف العصاة
وارتجاعهم عن المقاومة وتزليل المدافع بما أن ذلك أخف الضررين .
ثم بعد تلك المحاورات التي حصلت بالمجلس في مساء يومها جهزوا
العساكر طوبجية ويادة وأهالي متطوعين بطوابي الساحل . وفي
الصباح حصل الضرب من الطرفين . وبحال الضرب تلاحظ
أن الضرب من المراكب ما كان إلا للطوابي التي بها العساكر فقط
وتركوا الطوابي التي لم يكن بها عساكر بدون ضرب . ثم تلاحظ
أن رؤساء العصاة بدلا عن أنهم يصيرون بالطوابي حال الضرب
حتى يصير جزرم تحت المدافع كأقوالهم بالمجلس هربوا وتوجهوا
إلى طاية الدماس المنية وأخفوا أنفسهم تحت العقودات من ضرب
الكلال حتى تسبب مما حصل من اجراآتهم وحالة الضرب مهاجرة
الأهالي تركوا أمتعتهم وأموالهم وهم في أسوأ حال . وكذا الذوات
السابق حضورهم من المحروسة هاجسروا معهم . ومن ذلك اتضح
تأييد صحة أقوالنا التي أبديناها بالمجلس بشأن عدم وضع عساكر
بالطوابي فإذا كان لم يحصل مبارزة العصاة بوضع عساكر بالطوابي

كما أورتنا ما كان الاميرال يأمر بضررها ولا كان يحصل شيء من التلفيات . ثم لما رأينا هذه الحالة وتهدى من العصاة بالكلام حال وجودى معهم وقت الضرب بطاينة الدماس مع أغلب النظار وعدم وجود منزل لنا ولا مأوى باسكندرية ولم يكن لى وظيفة تستوجب ابقاءنا بها فضلا عن صعوبة الحالة التى كانت حاصلة وخشية من حصول اضرارى من العصاة لما نظر من أحوالهم وعدم استعدادى بلوازم الاقامة باسكندرية ، حضرنا مع الذوات إلى المحروسة الخ ١٠٠هـ

وهناك رواية أخرى عن هذا الاجتماع رواها ميسو بيوفيس Biovés فى الصفحة ١٥٠ من كتابه (الفرنسيون والانكليز فى مصر Français et Anglais en Egypte) وهذه الرواية لم أتعلمها هنا . إلا بعد أن تحققت من مطالعة هذا الكتاب أنه من أحسن الكتب التى سطرت عن هذه المأساة المحزنة وأن مؤلفه كان مسموحا له بالاطلاع على جميع المستندات الرسمية لذلك الحادث المشؤم . وفوق هذا فإن معلوماته مستقاة من مصادر صحيحة معتبرة . وإليك ماقاله فى هذا الصدد :-

لقد كان الخديو توفيق يرغب فى عقد اتفاقية صلح شريفة بينه وبين الانكليز ولكن هذا المطمح أثار غضب المشير (درويش باشا) الذى ضرب المائدة بقبضة يده وصاح قائلا : لاتنسوا أنكم جميعا عبيد السلطان الذى مفره بالآستانة ، وليس هنا محل

للدولة ، وتسليم الحصون المصرية أمر يكسو المسلمين ثوب
الخزى والعار . ٥١

أما أنا شخصيا فأرجح أن درويش باشا كان معارضا لطلب
الأميرال سيمور كما يستفاد من منطوق الخطاب السالف الذكر
الذى بعث به إلى مسر كارترأيت .

ومهما يكن بين هذه الروايات من التناقض فقد تقرر بعد
المناقشة أبلغ الأميرال في ١٠ يولييه سنة ١٨٨٢ القرار التالى ردا
على انذاره :-

(٢١)

لم تعمل مصر شيئا يقضى بإرسال هذه الأساطيل
المتجمعة . ولم تعمل السلطة المدنية ولا السلطة العسكرية أى عمل
يسوغ مطالب الأميرال إلا بعض اصلاحات اضطرارية فى أبنية
قديمة . والطوابى الآن على الحالة التى كانت عليها عند وصول
الأساطيل . ونحن هنا فى وطننا وبيتنا . فمن حقنا بل من الواجب
علينا أن نتخذ عدتنا ضد كل عدو مباغت يقدم على قطع أسباب
الصلات السلية التى تقول الحكومة الانكليزية إنها باقية بيننا .

ومصر الحريصة على حقوقها الساهرة على تلك الحقوق
وعلى شرفها لا تستطيع أن تسلم أى مدفع ولا أية طاية دون أن
تكره على ذلك بحكم السلاح .

فهى لذلك تحتج على بلاغكم الذى وجهتموه اليوم وتوقع مسؤوليات

جميع النتائج المباشرة وغير المباشرة التي تنجم إما عن هجوم الأساطيل أو عن إطلاق المدافع على الأمة التي تقذف في وسط السلام القنبلة الأولى على الاسكندرية المدينة المحاذية بخلافه بذلك لأحكام حقوق الانسان ولقوانين الحرب . ١٠ هـ

وأيضاً تقرر من باب المسألة قبول إنزال ثلاثة مدافع يختارها الأميرال وإذا أبى وأصر تلقى عليه مسؤولية التعدي وذلك بعدم المجاورة إلا بعد إطلاق القنبلة الخامسة . وقد بلغ راغب باشا الأميرال سيمور ذلك بالخطاب الآتي :-

(٢٢)

الاسكندرية في ١٠ يولييه سنة ١٨٨٢

حضرة الأميرال

طبقاً لما سبق أن وعدتكم به في أثناء المحادثة التي دارت بيني وبينكم هذا الصباح رفعت لسموالخدو في اجتماع حافل بالنظر وكبار موظفي الحكومة الشروط المدونة في الخطاب الذي تكرمتم بإرساله الى قومندان الاسكندرية في بكرة هذا النهار وذكرتم فيه أنكم نويتم تنفيذ أغراضكم المبينة بخطابكم اليه يوم ٦ من الشهر الحالي في فجر الغد (١١ الجاري) وذلك اذا لم تسلم لكم مؤقتاً البطاريات القائمة على برزخ رأس التين وساحل ميناء الاسكندرية الجنوبي لتجربتها من السلاح قبل هذه المهلة .

واني لأسف يا حضرة الأميرال أن أعلمكم بأن حكومة سموه

تعتبر هذا الطلب غير مقبول وانها لا ترغب قط في تكدير صفو العلاقات بينها وبين بريطانيا العظمى ولكنها لا تستطيع أن تعترف بأنها اتخذت أى تدبير يمكن أن يعتبر تهديدا للأسطول الانكليزى سواء أكان ذلك من جهة إقامة أعمال في الحصون أم من ناحية تركيب مدافع بها أو استعدادات حرية .

ومع ذلك فنحن مستعدون أن نزل ثلاثة مدافع من البطاريات التى أوتأتم اليها لنبرهن لكم على أيماننا السلية ورغبتنا فى تلبية طلبكم على قدر الامكان .

وإذا كنتم تصرون رغم هذه التقدمة على إطلاق النار فالحكومة المصرية تحفظ لنفسها الحق وتلقى مسئولية هذا العمل العدائى على طاعتكم .
وتفضل يا جناب الأميرال بقبول الخ .

رئيس مجلس النظار وناظر الخارجية
الامضاء
اسماعيل راغب

وتسلم هذا الخطاب ياور درويش باشا وضابطان مصريان لتوصيله للأميرال ولكن بسبب أن جميع السفن كانت أنوارها مطفأة لأنها كانت تعتبر الحالة وقتئذ حالة حرب أمت الميناء تسبح فى ظلام دامس ولم يستطع هؤلاء الضباط أن يحددوا سفينة الأميرال ليسلوه هذا الخطاب فى نفس تلك العشية .

وفى صباح ١١ يولييه توجهوا الى البارجة ولكنهم

أوصلتهم إلى الأنفسييل التي كان بها الأميرال وسلوه خطاب راغب
باشا في الساعة السادسة صباحا .

وبعد أن أطلع عليه الأميرال وعلم ما جاء به أرسل معهم
الرد السلي الآتي :-

(٢٣)

من ظهر البارجة انفسيل بالاسكندرية في ١١ يولييه سنة ١٨٨٢
ياصاحب السعادة

أتشرف باخباركم بوصول بلاغكم المؤرخ بتاريخ أمس وأنى
آسف أن أخبركم أنه ليس في استطاعى أن أقبل ما عرضتموه
في هذا البلاغ .

ولى الشرف الخ...ع

رئيس قومندانة القوة البحرية البريطانية في البحر الايض المتوسط
الامضاء

بوشامپ سيمور

وانصرف هؤلاء الضباط ومعهم الرد وانتظر الأميرال وصولهم
الى البر ثم أعطى الاشارة باطلاق النار .

وقبل حصول الضرب أرسل لورد جرايفيل باسم حكومته
الى ممثلى حكومة صاحبة الجلالة البريطانية فى باريس وبرلين وفيينا
وروما وسان بترسبرج والاستانة البرقية التالية اتاما لسلسلة هذه

المكاتبات وتبريرا للعمل الذى لا أجد ما أصفه به الوصف الكافى والذى
أوشك أن يحدث ، وإليك نص هذه البرقية :-

(٢٤)

وزارة الخارجية فى ١٠ يولييه سنة ١٨٨٢

بناء على برقىتى التى أرسلتها أمس مساء بينوا للحكومة التى أنتم
معتمدون لسيما أن الخطة التى أنبأنا أميرالنا أنه سيسير عليها ليست أكثر
من عمل دفاعى بسيط ومشروع - وأما قتاله - اذا كانت تدعو الضرورة
لسوء الحظ الى قتال ، فسيأشهر لهذه الغاية وبدون أية فكرة أخرى .
ويتضح من تقريره أن أولى الأمر والنهى بالاسكندرية على
وشك أن يقوموا باستعدادات عدوانية ويضربوا بأوامر السلطان
ورغبات الخديو عرض الحائط رغما عن تأكيداتهم الالمانية ؟

وأرسل إلى لورد دوفرين Lord Dufferin برقية واحدة بقصد
خداع السلطنة العثمانية ، وهى :-

(٢٥)

يجول بفكرنا أن ما نقوم به من الاعمال لم يكن إلا فى
صالح السلطان الذى يستخفون بسيطرته ؟

* * *

هل من الممكن تغيير الحقيقة بجرأة أشد من هذه الجرأة ؟
ومن أى جانب يكون الدفاع المشروع ؟ أمن جانب
أسطول قوى قدم مياه بلد وصار يصوب مدافعه وقاذفات

أنواره الكهربائية كل ليلة على حصون هذا البلد ؟
أم من جانب أهالي هذا البلد الذين عندما رأوا ذلك أخذوا
يحاولون - تأميننا على حياتهم - القيام ببعض ترميمات نافذة غير مجددة في
حصونهم العتيقة ؟

نعم لانزع في أن القوة تصير الباطل حقا ولكنها في الحالة
الحاضرة جاوزت في انتهاكها للحق كل حد .

وكان هنالك على ماأرى وسيلتان للخروج من هذا المأزق :-

الوسيلة الأولى التي أوعز بها مرعشلى باشا وهى تقضى بالكف عن
مجاوبة نيران الاسطول الانجليزى واخلاء الحصون من الجنود
وبهذه الكيفية يكون الانجليز نالوا مشتاهم واذا استمروا بعد ذلك
على تصويب مقذوفات مدافعهم على حصون لم تقابل عدوانهم بمثله
لأجل نفس مدافعها يكونون قد أتوا بعمل لايفهم ولا معنى
لهم أى حجة لاحتلال المدينة ، وبهذه الوسيلة نكون قد تجنبنا
خسارة جنودنا الأبطال الذين راحوا ضحية في ذلك اليوم المشئوم .

والوسيلة الثانية هى - أنه كان يوجد في ميناء الاسكندرية
بوابر حربية لكل الدول فكان فى الاستطاعة الاتفاق
معهما على أن ترسل كل واحدة منها فريقا من بحارتها
إلى البر وتعهد اليها حراسة الحصون المطلة على البحر .
وبهذه الكيفية لا يكون للأميرال حجة يتمسك بها ويزعم

أنه مهدد وإذا استمر بعد ذلك على تنفيذ خطته ولم ينجح إلى السلم وجد أوروبا كلها أمامه .

ويظهر لي أن هذين الحليين كانا هما السيليل الوحيد لاجتياز مصر هذه العقبة الخطرة . ولكن شأت الأقدار غير ذلك بعد أن فرغ كل ماني جعبتها من وسائل السلم فأقبلت على الخضوع إلى ماقدار لها في عالم الغيب ومكابدة أحوال فوداح الخطوب من احتلال أجنبي أعقبه بتر أكبر قسم من أراضيها .

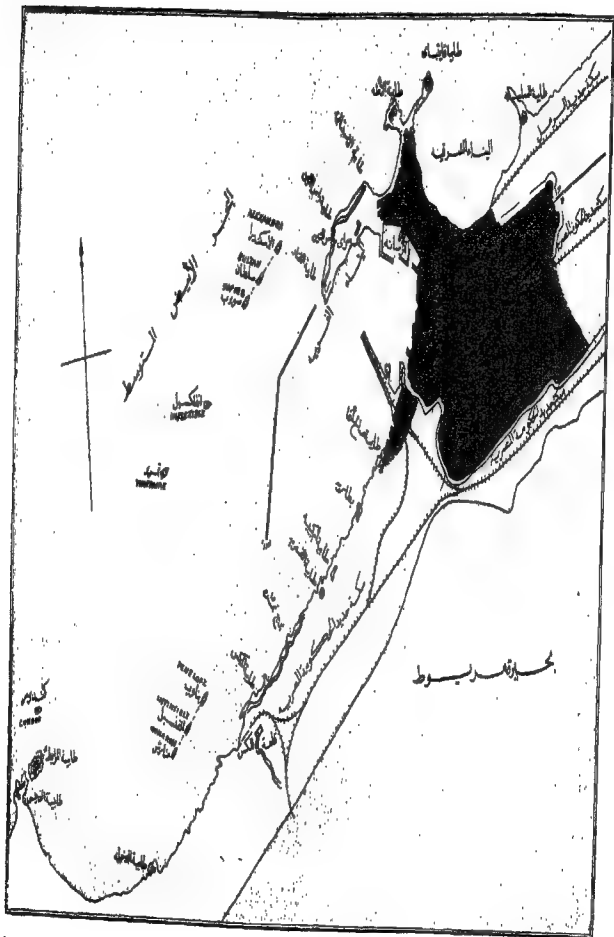
مواقع الحصون من موقف الأسطول

قبل أن أتكم عن ضرب الأسطول لحصون الاسكندرية يجدر بي أن أبين مواقع الحصون بالنسبة للأسطول ليكون الأمر أمام عين القارئ في صورة واضحة جلية .

إن حصون الاسكندرية القائمة على طول شاطئ البحر تنقسم إلى ثلاث مناطق بالنسبة لتمررها لضرب الأسطول :-

١ - المنطقة الأولى . وهي الواقعة شرق المدينة ، ليس بها غير حصن السلسلة . وهذا الحصن لانده قد اشترك في القتال وإن كان قد أطلق بعض طلقات على السفن التي كانت تصوب مقذوفات مدافعها على قلعة قايتباي . لأن هذه السفن لم تجاوبه بتاتا فلم يصب بضرر ما .

خريطة حصون الاسكندرية والسفن الالمانية في القصر بها في ايلول سنة ١٨٨٢ م



٢ - المنطقة الثانية . وهي الواقعة شمال المدينة ، بها من الحصون حصن قايتباى والهلالية والأطلة والاستبالية ورأس التين والفنار .

٣ - المنطقة الثالثة . وهي الواقعة غرب المدينة ، بها من الحصون حصن صالح أغا والبرج رقم ١٥ وأم قبينة والعجمى والمرايط . وكان حصن العجمى لم يتم انشاؤه إلى وقت الضرب .

أما الأسطول الانجليزى فكان مؤلفا من مائتى مدرعات كبيرة وخمس سفن صغيرة غير مدرعة . وقد انقسمت المدرعات الى قسمين :-

١ - القسم الأول ، ويسمى الأسطول الخارجى ، كان مؤلفا من المدرعات الخمس : الكسندرا ، وانفلكسيل ، وسلطان ، وسوبر ، وتميرير . وهذا القسم كان يقوده الكابتن هنت جرب Hunt Orubbe قائد المدرعة سلطان . وكانت مهمته تتحصر فى الوقوف خارج الميناء فى عرض البحر ومهاجمة حصون المنطقة الثانية .

٢ - القسم الثانى ، ويسمى الأسطول الداخلى ، كان مؤلفا من ثلاث مدرعات هى انفنسيل ، ومونارك ، وبنلوپ بقيادة الأميرال سيمور وكانت مهمته أن يقف فى الجزء المتقدم من الميناء ويهاجم حصون المنطقة الثالثة . وهذا التقسيم كان سريا فى انتقال الأميرال سيمور من الكسندرا سفينة القيادة لهذا الأسطول إلى المدرعة انفنسيل .

وأما السفن الخمس الصغيرة فقد تلقت الأمر بأن تقف

خارج منطقة مرمى القنابل الى أن تحين الفرصة المناسبة التي تسمح لها بالاشتراك في مهاجمة حصون المنطقة الثالثة نظرا لقصر عمق غاطسها .

وكانت الخطة المرسومة لكلا قسمي الأسطول كما قلنا آنفا أن تصوب مدركاته نيران مدافعها كلها سوية الى حصن واحد وبعد أن تسكته تقصد الى الحصن الذي يليه وتقوم بنفس العمل الذي عملته مع الحصن السابق . وهكذا دواليك مع باقي الحصون إلى أن تسكت جميعا سكوتا تاما .

وبما أن العمل بهذه الكيفية أى تصويب قوة كل الأسطول في آن واحد الى حصن واحد، من شأنه أن يجعل الأسطول متفوقا على هذا الحصن الواحد تفوقا كبيرا، فقد بذل القومندان جودريتش مجهودا كبيرا ليصل الى الموازنة بين القوتين في الجانبين في مختلف المعارك التي دارت رحاها بهذه الكيفية بين الأسطول والحصون ويبين كل واحدة منها على حدة . وهذه هي النتيجة التي حصل عليها —

النسبة بين قوة الحصون وقوة الأسطول

قوة حصن قايتباي بالنسبة للأسطول الذي هاجمه	٤	:	٣٣
الآلة	د	د	د
رأس التين	د	د	د
الفسار	د	د	د
المكس	د	د	د
	٥	:	١٦

وقد قال القومندان جودريتش بعد ذكر هذه الموازنة إنه
يعدها دون الحقيقة بالنسبة للأسطول لتفوق عيار مدافعه على
عيار المدافع المصرية .

وإذا أضفنا الى ذلك تفوق رجال المدفعية الانكليزية
بالنسبة لتجارهم على رجال المدفعية المصرية لعدم مراتهم كان اليون
ينها سحيقا بعيدا .

حامية الاسكندرية

قبل مذبحة الاسكندرية الى حدثت يوم ١١ يونيه سنة ١٨٨٢
كانت حاميها مؤلفة من ٥ حى زيادة و ٦ حى زيادة وهما الألايان
اللذان يتألف منهما اللواء الثالث بقيادة اللواء خورشيد باشا طاهر .
ومن ١ حى طوبجية سواحل بقيادة أمير الألاى اسماعيل بك صبرى .
وكان هؤلاء جميعا تحت أمرة الفريق اسماعيل باشا كامل .

وبعد تلك المذبحة عندما قدم الى الاسكندرية يعقوب باشا
سامى وكيل نظارة الجهادية وكان عضوا فى المجلس الذى تألف لتحقيق
هذه الحادثة وتوطيد النظام بكيفية شافية وافية فى هذه المدينة
خصوصا بعدما جاءت الى مينائها الأساطيل الفرنسية والانكليزية
وغيرها ورابطت فيها ، كتب سامى باشا الى نظارة الجهادية لتعزز هذه
الحامية وترسل لواء مؤلفا من الألايين من المشاة . فلبت النظارة طلبه

وأرسلت الى الاسكندرية ٢ جى زيادة و ٤ جى زيادة بقيادة اللواء
طلبة باشا عصمت . ولما رأى الفريق اسماعيل باشا كامل طلبة باشا
عصمت على رأس هذا اللواء وكان على علم بأنه لا يخضع له ولا
يرضى بأن يكون له عليه أى سيطرة وإن كان أرقى منه رتبة
لأن طلبة باشا من صنائع عرابى ، أخذ اجازة مرضية اتقاء لهذه
المخاطر وتخلص من القيادة التي انتقلت من يده ابتداء من ذلك اليوم
وأصبحت في يد اللواء طلبة باشا عصمت .

واليك يانا بوحدات حامية الاسكندرية يوم ضرب حصونها :-

٢ جى زيادة

القائد — أميرالاي خليل بك كامل .

وكيل القائد — القائمقام احمد بك عفت .

بكباشى الاورطة الاولى — محمد افندى عارف .

» » الثانية — محمد افندى فوده .

» » الثالثة — محروس افندى شلش

١٨٦٣ مجموع عدد الضباط والصف ضباط والجنود .

٤ جى زيادة

القائد — أميرالاي عيىد بك محمد .

وكيل القائد — القائمقام فوده بك حسن .

بكباشى الاورطة الاولى — احمد افندى عبد الرحمن .

١٨٦٣ ماقبله

بكباشى الأورطة الثانية - رزق افندى حجازى .

و و الثالثة - حسن افندى عاصم .

١٨٨٥ مجموع عدد الضباط والصف ضباط والجنود .

٥ جى زيادة

القائد - أميرالالائى مصطفى بك عبد الرحيم .

وكيل القائد - القائمقام فرج بك عبد العال .

بكباشى الأورطة الأولى - يوسف افندى السيد .

و و الثانية - عبد الرحمن افندى سليم .

و و الثالثة - سليمان افندى تعيلب .

١٨٢٤ مجموع عدد الضباط والصف ضباط والجنود .

٦ جى زيادة

القائد - أميرالالائى سليمان بك سالى .

وكيل القائد - القائمقام على بك عيسى .

بكباشى الأورطة الأولى - على افندى رمزى .

و و الثانية - فرج افندى يوسف .

و و الثالثة - احمد افندى راغب .

١٨٩١ مجموع عدد الضباط والصف ضباط والجنود .

٧٤٦٣ مجموع البيادة ضباط وصف ضباط وجنود .

٧٤٦٣ ماقبله

١ جى طوبجية سواحل

- القائد - أمير الآلاى اسماعيل بك صبرى .
 وكيل القائد - { القائمقام محمد بك نسيم .
 والد صاحب الدولة توفيق باشا نسيم
 بكباشى الأورطة الأولى - عبد المال افندى ابو العلا .
 . . الثانية - { سيف النصر افندى . والد حضرة صاحب
 العزة حمدى بك سيف النصر .
 . . الثالثة - محمد افندى شرى .
 ١٧٦٢ مجموع عدد الضباط والصف ضباط والجنود .

أورطتان من ١ جى سوارى

- القائد - البكباشى محمد افندى منيب .
 ٢٦٢ مجموع عدد الضباط والصف ضباط والجنود .
 ٩٤٨٧ المجموع الكلى
 . . .

استعدادات القوتين المتحاربتين قبل الضرب

لقد فشلت كل الجهود التى بذلت ابتغاء إيجاد طريقة للسلم واجتئاب الحرب بسبب عناد الأميرال سيمور وتصلبه . ولم يبق إلا تفويض الأمر للحديد والنار .

وفى ليلة ١١ يوليه سنة ١٨٨٢ أرسسل عراقى باشا

أمره الألايات عيد بك محمد ومصطفى بك عبد الرحيم وسليمان بك سامي قواد ٤ جى و ٥ جى و ٦ جى يسادة فى طلب أمير الألاى اسماعيل بك صبرى قائد ١ جى طوبجية سواحل وقومندان حصون الاسكندرية . وكان عرابى باشا وقتئذ بالترسانة ومعه محمود باشا فهمى وطلبة باشا عصمت قائد حامية الاسكندرية ومحمد باشا كامل وكيل نظارة البحرية . فلما جاء أخبره أن الأسطول الانكليزى سيضرب حصون الاسكندرية صبح يوم الغد . واستطرد فى الكلام فقال : وان كان المجلس الذى انعقد فى سراى رأس التين برياسة الخديو قرر عدم مجاوبة الأسطول إلا بعد الطلقة الخامسة فمن اللازم أن يصدر أمراً بأن المجاوبة لا تكون إلا بعد الطلقة العاشرة .

وبعد أن تلقى اسماعيل بك صبرى هذه الأوامر انصرف هو ووكيله القائمقام محمد بك نسيم ليقابل بكباشية الألاى ويلفهم الأوامر التى تلقاها وبعد أن أتم مهمة التبليغ ذهب كل واحد من هؤلاء إلى مركز عمله . فذهب البكباشى عبد العال افندى ابو العلا إلى قلعة قايتباى والبكباشى سيف النصر افندى الى حصن الفجار . والبكباشى محمد افندى شرمى إلى حصن المكس . أما أمير الألاى اسماعيل بك صبرى فقد أخذ تحت قيادته المباشرة حصون المنطقة الثانية وأقام مركز قيادته فى حصن الأطاة وأرسل وكيله القائمقام محمد بك نسيم لقيادة حصون المنطقة الثالثة وقد جعل مركز قيادته بحصن المكس .

وأصدر أحمد باشا عرابى الأوامر الآتية للشاة :-

يجب على ٥ جى زيادة بقيادة أمير الآلاى مصطفى بك عبد الرحيم أن يتفرق خلف حصون المنطقة الثانية أى من قلعة قايتباى الى حصن الفنار مع ٤ جى زيادة بقيادة أمير الآلاى عيد بك محمد . وعلى الآلاى الأخير أن يقيم ياب شرق بصفة احتياطى .

ويجب على ٦ جى زيادة بقيادة أمير الآلاى سليمان بك سامى أن يتفرق خلف حصون المنطقة الثالثة أى من حصن طابية صالح إلى حصن المعجمى ومعه ٢ جى زيادة بقيادة أمير الآلاى خليل بك كامل . وعلى هذا الآلاى الأخير أن يقيم بالقبارى بصفة احتياطى .

وعلى الأورطين من ١ جى سوارى أن تقوموا بواجب الخدمة بصفة مراسلة بين مختلف الحصون والمراكز .

هذه هى الترتيبات التى وضعها القيادة المصرية .

أما الإنكليز فقد وجه الأميرال سيمور بتاريخ ١٠ يوليه الى قواد وضباط بوازج صاحبة الجلالة الملكية باسكندرية أوامره باتباع الترتيبات التى جاءت فى هذا المنشور :-

من البارجة افلسيل فى ١٠ يوليه سنة ١٨٨٢

لأنه فى حالة ما اذا لم اتلق جوابا مرضيا على الانذار الذى أرسلته إلى قائد الاسكندرية الحربى اطلب منه فيه أن يسلمنى مؤقتا الحصون القائمة على ساحل الميناء الجنوبى (حصون المنطقة الثالثة ، من

حصن صالح الى حصن العجمي) وحصون رأس التين - اذا لم
أُتلق جوابا مرضيا - يغير الأسطول بقيادتي على الحصون عقب
ما تنتهى الأربع والعشرون ساعة وهي مدة المهلة التي أمهلت بها
المجاهدين ليبارحوا في خلالها المدينة . وهذه المدة تنقضى في الساعة
الخامسة صباحا من يوم ١١ يولييه .

وسيكون الهجوم من ناحيتين :-

١ - الناحية الأولى داخل الميناء ، وتشترك فيه افئسبيل ،
ومونارك ، وبنلوط .

٢ - الناحية الثانية خارج حاجز الأمواج ، وتشترك فيه
سوپرب ، وتمرير ، والكسندرا ، وافلكسيل .

ويبتدىء القتال عند صدور الإشارة منى . وفي هذه الحالة على
السفينة الأكثر دنوا من ساتر التراب الذى أقيم أخيرا في طاية
الاستبالية التي بجوار حصن الأطله ، أن تصوب قذيفة الى هذا الساتر .

وعندما نجواب الحصون الأسطول الخارجى بإطلاق النار
يجب على السفن بذل كل مجهودها وتدمير البطاريات القائمة على
شبه جزيرة رأس التين خصوصا حصن القنار المطل على الميناء . ومنى
نم ذلك تتجه سلطان ، وسوپرب ، والكسندرا الى الشرق لتهاجم
حصن فاروس (قايتباى) . وتهاجم حصن السلسلة اذا كانت
مهاجمة في الامكان .

وتجه انفلكسيل في عصر هذا النهار نحو الموقع الذى بقرب
البوغاز الصغير والذى عين لها أمس وتستعد لضرب مدافع خط
المكس ومساعدة الأسطول الداخلى عند ما تعطى الاشارة بالضرب .
وتأخذ تمرير ، وسلطان ، والكسندرا في ضرب حصون
رأس الثين من الجانب .

وتظل السفن الصغيرة في الخارج بعيدة عن منطقة القتال
إلى أن تجد الفرصة المناسبة للهجوم على المكس .
ويجب على السفن أن تراعى في تنفيذ هذه التعليمات
كلها دواعى الظروف مراعاة كبيرة بمعنى أنها تراعى الحالة التى
يجب عليها أن تقاتل وهى فيها . فأما أن تقاتل وهى راسية في
مراسيها أو تقاتل وهى متحركة .

وإذا كانت الحالة تدعو الى قتالها وهى ملقية مراسيها
وجب حينئذ أن يزداد حبل من الفولاذ .

وعلى الجنود أن يتناولوا فطورهم في منتصف الساعة
الخامسة صباحاً وأن يرتدوا ملابس العمل الزرقاء .

وسيكون الأسطول الداخلى تحت قيادة الشخصية ،
والأسطول الخارجى تحت قيادة الكابتن هنت جرب قائد البارجة سلطان .
وتقوم السفينتان هلكن وكندور بوظيفة سفن الاعادة .

وبالجلة ينحصر الغرض من الهجوم في تخريب الحصون
وتدمير البطاريات المنصوبة على واجهة بحر الاسكندرية .

ومن المحتمل أن هذا العمل لا يمكن إتمامه في أقل من يومين أو ثلاثة . فيجب استعمال المقذوفات مع الحرص ، وعلى كل حال من المرتقب قشوم الباخرة ممبر Humber الى هنا في ١٢ يولييه وعليها مقدار كبير من الذخيرة .

واذا وصلت البارجة اتشلز Achilles في الوقت اللازم يجب عليها مهاجمة حصن فاروس (قايتباى) والوقوف في الموقف الذى يأمرها قائد الأسطول الخارجى أن تتخذه .

وتقف الكسترا على بعد ١٥٠٠ ياردة تجاه حصن رأس التين .

وتقف سلطان على بعد ١٧٥٠ ياردة تجاه متصف المسافة بين حصن الفنار ورأس التين .

وتقف سورب على بعد ١٩٥٠ ياردة تجاه حصن الفنار .

وتقف انفلكسيل على بعد ٣٧٠٠ ياردة في الشمال الغربى من المكس .

وتقف تمرير على بعد ٣٥٠٠ ياردة في الشمال الغربى من المكس .

وتقف پنلوپ ، واشتسيل ، ومونارك على بعد يتراوح بين

١٠٠٠ و ١٣٠٠ ياردة في الشمال الغربي من المكس ؟

الامضاء

يوشاب سيمور

أميرال وقومندان القيادة

ويؤخذ من ترتيب هذه السوارج عدا البارجتين انفلكسيل
وتحمر ووضعا في هذه المواقف أن الأميرال أراد أن تكون
المسافة التي يرمى منها هذا الأسطول مقذوفاته وخصوصاً الأسطول
الداخلي ، قصيرة قريبة من الحصون على الرغم من بعد مرمى
مدافع سفنه الضخمة . ومن هذا نستنتج عدة نتائج :-

١ - أن المخاوف التي كان يخشى منها الأميرال على
أسطوله من جراء وضع مدافع في الحصون قبل الضرب ، كانت
مخاوف مختلفة أراد بها تبرير عمله .

٢ - أن هذا الأميرال لم يكن يخشى ضرراً كبيراً من
المدفعية المصرية التي في هذه الطوابق . ولذلك دنا منها هذا الدنو
الكبير الذي لم يجرئه عليه إلا اعتقاده الجازم بقصر مرمى
هذه المدفعية وضعف تأثير مقذوفاتها .

٣ - أنه كان على علم تام بأن هذه الحصون كلها
عدا قلعة قايتباي كانت مدافعها منصوبة في العراء وبلا وقاية
تقي جنودها . والدليل على ذلك أنه أمر باستعمال مدافعه
الصغيرة خصوصاً المنصوبة منها في الطبقات العليا من سفن هذا

الأسطول ، وذلك لكي يفتك بجنود هذه المدافع فيسكنها بقتل جنودها وبدون أن يحتاج في اسكانها إلى ضربها واتلافها وهذا ماحدث فعلا في كل هذه الحصون عدا قلعة قايتباى .

البدء بالضرب

في صباح يوم ١١ يولييه سنة ١٨٨٢ في الساعة السابعة صباحاً أعطى الأميرال سيمور إشارة الضرب غير مبال أية مبالاة بحقوق الشعوب الأمر الذى يكسو الحكومة التى وافقت على سفك دماء الأبرياء ثياب النار ، ويسجل في تاريخها صفحات سوداء لايمحوها مرور الأزمان ولا كروور الأعوام .

وقد كان الجو وقت الضرب صحوا والبحر رهوا إلا أن النسيم الذى يهب في هذا الفصل على الاسكندرية من الشمال الغربى كان يطرد دخان مدافع الأسطول إلى الشاطئ. فينثر الظلام على الحصون ويحول في فترات واسعة دون رؤية الأهداف التى يجب أن تسدد إليها السفن مقنوفاتها . ولولم تظهر أمام الأسطول هذه العقبة لكان موقفه من أحسن المواقف .

وعلا بأوامر الأميرال أرسلت الكسندرا التى كانت أقرب السفن من حصن الاستيالية ، أول قذيفة إلى هذا الحصن . واتقدت بها بقية السفن فأطلقت مدافعها ولكن بعض الحصون

لم تجاوبها إلا بعد الطلقة العاشرة والبعض الآخر بعد الخامسة عشرة .
ثم عمت المعركة الجانبين .

حركات الاسطول الخارجى

سارت سفن هذا الاسطول في بدء المعركة على الحطة الحرية
التي رسمت لها فصول مقذوقاتها أولا على حصون القنار ،
ورأس التين ، والاستبالية . ولم تمر مؤقتا التفافها إلى الحصون
الأخرى . وقاتلت ثلاث منهن متقلة وهي سلطان ،
وسوبر ، والكسندرا . أما البارجة افنسيل فكانت ملقبة مراسيا في
الممر الصغير لتعاون الاسطول الداخلى مصوبة مدفعين من مدافعها
منصوبين في برجها الامامى وزن الواحد ٨٠ طنا لضرب الحصون
السالف ذكرها ومدفعين في برجها الخلفى لضرب حصن المكس .

وأما البارجة تمرير خامسة بوارج هذا الاسطول فقد نشبت
في مكانها (شحطت) أثناء المناورة التي كانت تقوم بها لتتخذ الوضع
الذى رسم لها خارج البوغاز ، ولكنها واصلت الضرب وهي في المكان
الذى نشبت فيه وجاءت السفينة كندور لانقاذها فومتها بدون
أن ينالها أى ضرر .

وقد كانت هذه البوارج الثلاث تقاوم وتكافح من بدء القتال
في الساعة السابعة إلى منتصف الساعة الحادية عشرة وهي متقلة
وعلى بعد ١٥٠٠ ياردة حسب تعليمات الأميرال وقاومتها الحصون

مقاومة فاقت ما كان يظنه الانكليز وأبدى جنود مدفعتها فى اطلاق هذه المدافع مهارة لم يكونوا يتوقعونها منهم فألقت هذه البوارج مراسيها عند منتصف الساعة الحادية عشرة لأنها رأت ضربها غير محكم وهى متقلبة . وبذلك حصلت عل المسافة المضبوطة التى تفصلها من الحصون وأخذ ضربها لها ابتداء من هذا الوقت يزداد أثره .

وبانضمام البارجتين انفلكسيل وتمير إلى هذه البوارج الثلاث أمكنها أسكات حصون رأس التين والفنار والاستبالية فى منتصف الساعة الواحدة بعد الظهر . غير أن مدفعا واحدا من مدافع حصن الاستبالية لم يسكت ولم ينقطع عن الضرب إلا فى الساعة الخامسة مساء . وقد أصابت قنابل هذه البوارج سراى الحريم بقصر رأس التين فالتهمها النيران فى الساعة العاشرة مساء .

قال القومندان جودريتش إن جنود المدفعية المصرية جاوبوا نيران الاسطول الانكليزى المجهنية مجاوبة مدهشة لم تكن متظرة بتاتا وأظهروا بسالة عجيبة رغم التفاتو الجسم الذى بينهم وبين الانكليز من ناحيتى عدد المدافع وعيارها .

ولقد كانت البارجة انفلكسيل عندما تطلق مقذوفاتها التى تزن القذيفة منها ١٧٠٠ رطل على حصن الفنار وتصطدم بساتره تثير النقع والغبار والشظايا إلى ارتفاع الفنار نفسه . ويتخيل المرء

عندما يرى ذلك أن ليس في استطاعة أحد من البشر أن يعيش تحت هذه النيران ولكن عندما ينشع العير بعد بضع دقائق يرى جنود المدفعية المصرية في مواقعهم يطلقون القنابل على خصمهم الرهيب . اه وعقب منتصف الساعة الواحدة بعد الظهر عندما أسكتت مدافع المدرعات الثلاث سلطان ، وسورب ، والكسندرا مدافع الحصون الثلاثة المذكورة ، اتجهت نحو حصن الأطله ، ويظهر أنها كانت تعتقد أن قوتها لا تكفي للتغلب عليه ، ولذلك طلبت من المدرعتين انفلكسيل وتمير أن تأتيا لمشاركها في ضربه . فصوبت هذه المدرعات الخمس نيرانها دفعة واحدة إلى هذا الحصن المنكود الذي دافع عن نفسه دفاعا عجيبا أمام غارة البوارج الخمس التي هي أقوى سفن الأسطول الانجليزي . وسلك قائد هذا الحصن الذي لم أوفق لسوء الحظ إلى معرفة اسمه في قيادته سلوكا باهرا غاية في البسالة والاقدام . وقد شهد له بذلك شاهد العيان الكابتن وولتر جودسول Walter Goodsall قومندان الباخرة تشلترن Chiltern إحدى سفن شركة التلغراف الشرقية ، الاسترن تلجراف Eastern Télégraphe Cie الذي كان حاضرا هذه الواقعة في ذلك اليوم . وهذا ما قاله :-

لقد عجبت من هذه البطولة التي لا يمكنني أن أدرك كنه كفيتها والتي كانت تحلى بها الجنود الذين يطلقون مدافع حصن الأطله ، كما عجبت أشد العجب من الموقف الذي وقفه قائد هذا الحصن قرب سارية عليه وهو بمفرده والمنظار في يده ينظر منه الأثر الذي أحدثه المقذوفات

التي كانت تنطلق .

لقد كان حقاً رجلاً شجاعاً مزدرباً عدد المقذوفات التي كانت تلقى على حصنه ذلك الحصن الذي كان يجاوب هذه المقذوفات باطلاق مقذوفاته كلما مرت عشر دقائق . ثم رفعت البارجة انفلكسيل مرساتها وشرعت تصوب قنابل مدافعها الضخمة الى هذا الحصن . ويظهر أنها دكت أسسه ودمرته تدميراً . وفي منتصف الساعة الثانية بعد الظهر سددت قنبلة الى مستودع باروده ولا بد أنها أصابته ودخلت فيه لأنه انفجر في منتصف الساعة الثالثة ونسف ، ولا بد أيضاً أنه قتل جنود كثيرون في هذا الحصن لأن عدداً كبيراً منهم طار في الفضاء والضابط الذي كان واقفاً فيه وقفه الأسد في عرينه طار في الهواء هو وسارية عليه . ١٥

هذه كانت غاتمة ذلك البطل الصندبد وجنوده البواسل وبعد هذا الانفجار أدخلت الحامية حصن الاطلة ورحلت عنه .

وقد اتجهت المدرعات الخمس على أثر تدميرها حصن الاطلة نحو قلعة فاروس (قايتباي) وظلت تصلية بنيرانها الى الساعة الخامسة مساءً أي الوقت الذي أعطى فيه الاميرال الاشارة بإيقاف الضرب . وقد أصيبت هذه القلعة بأتلاف جسيمة ولكنها مع ذلك لم تسكت عن اطلاق مدافعها سكوتاً تاماً واستمرت ترمي مقذوفاتها الى أن صدر الأمر بالكف عن اطلاق النيران .

حركات الأسطول الداخلى

كانت المدرعات الثلاث التى يتألف منها هذا الأسطول وهى
أفشنسيل، وبنلوب، ومونارك بقيادة الأميرال سيمور مباشرة . وكان
علم هذا الأميرال معقودا على أولاهها وكان موقفها حسب تعليمات
القتال شمال غربى المكس . وقد ألفت هى والثانية مراسيها على بعد
يتراوح بين ١٠٠٠ و ١٢٠٠ ياردة بينما الثالثة كانت تنقل فى منطقة على
بعد هذه المسافة عنها . وكانت مهمة هذه البوارج الثلاث مقاتلة
حصون أم قبية ، والمكس ، والدخيلة ويعاونها فى ذلك البارجة
انفلكسكيل التى كانت ملقبة مراسيها خارج الممر الصغير وتقنف
النيران منذ ضحوة النهار من مدفعيها المنصوبين فى برج مؤخرتها والذين
يزن كل منها ٨٠ طنا وكذلك كانت تعاونها البارجة تمرير التى كانت ناشبة
(شاحطة) خارج ممر البوغاز . وكانت كلتا هاتين السفينتين تقاتل
الحصون على مسافة قدرها ٣٥٠٠ ياردة تقريبا . وقد أصيب فى الساعة
التاسعة صباحا مستودع البارود الذى كان خلف حصن الدخيلة
بقذيفة من قذائف السفينة مونارك فتطاير فى الفضاء .

وعلى أثر ذلك أشار الأميرال إلى هذه السفينة بالاقتراب من
الشاطئ بقدر ما يسمح لها غاطسها لتسحق جنود المدفعية أو تطردهم
من حول مدافعهم فأطاعت .

وفى منتصف الساعة الثانية عشرة كفت هذه الحصون عن

الضرب فكفت السفن أيضا عن ارسال مقذوفاتها . ولكن قيسل
الظهر أبصرت السفينة موناك جنودا انسلاوا الى مدافع الحصون
فأمرها الأميرال هي وينلوپ أن ترسلا عليهم مقذوفاتها فأطاعتا
وانتهى الأمر بطرد هؤلاء الجنود من مواقعهم .

قال الماجور تلك Tulloch أحد رجال قلم المخابرات
وكان على ظهر السفينة انيسيل أمام حصن المكس ، في
كتابه (ذكريات أربعين عاما في الخدمة ص ٢٧٧)
Recollections of Forty Years Service . عن جنود مدفعية
حصن المكس ما نصه :-

لقد كان حقا من العجب العجيب أن أرى هؤلاء الجنود رغم
شدة الضرب واقفين في أما كنهم ملازمين لمدافعهم . وقد رأيت
أكثر من مرة قذيفة من قذائفنا تدخل في إحدى كوات مدافعهم
فقلت في نفسى لقد قضى على هذا المدفع وأمسى في حيز العدم .
ولكن لم ألبث بعد ذلك حتى قلت : كلا ثم كلا ١١ فقد كان الجواب
من هذا المدفع يعود في الوقت اللازم وقد أتى مرة من المرات بسرعة
فاقة جدا حتى لم أتمكن من رؤية ووثبت الى حافة السفينة ورفعت يدي
صاحا : لقد أجدت العمل أيها الجندي المصري ١٠١ هـ

ثم رأت السفينة كندور أن حصن المراهط يطلق مدافعه على
السفن الكبيرة ببعض الاحكام . فاقربت منه وهاجمته لتحول دون

ضربه لها . ولما شاهد الأميرال فعل هذا الحصن أمر السفن الأربع الصغيرة أن تعاون كندور في هذا العمل ففعلت واسكتت الحصن .

وفي الساعة الثانية بعد الظهر رأى الأميرال هذه الحصون قد أخلتها الجنود فأرسل إلى البر عشرين جنديا ليسمروا أو ينسفوا مدافع حصن المكس بالديناميت ففعلوا ورجعوا دون أن يصابوا بأذى . وهذا يدل دلالة واضحة على أن الجنود البيادة الذين كانوا في حراسة هذه المنطقة لم يقوموا بالواجب الملقى على عاتقهم وأهملوه أهـالا يستحقون عليه المؤاخذه .

وفي منتصف الساعة الرابعة (الساعة ٣١) أخبرت المدرعة بنلوب الأميرال بأن مدافع حصن القمرية تنأهب مرة ثانية للضرب وأخبرته أيضا المدرعة مونارك بعودة الجنود إلى حصن المكس .

فأمرهما بأن تسددا مقذوفاتهما إلى هذين الحصنين فصدعتا بالآمر وأخذتا تضربهما حتى منتصف الساعة السادسة مساء حيث أمر الأميرال بالكف عن الضرب في هذا الوقت . وهكذا انقضى ذلك اليوم المشؤوم .

وقد بلغت خسائر الانكلز في هذا اليوم ٦ من القتلى و ٢٧ من الجرحى ، وسيأتى في تقرير الأميرال أن القتلى ٥ والجرحى ٢٨ فلعل أحـد الجرحى أدركته الوفاة ، أما قتلى المصريين وجرحاهم فيتعذر علينا معرفة عددهم بالضبط . وقد قدرهم استون باشا رئيس أركان الحرب العام بالجيش المصرى بنحو ٧٠٠ جندى .

والذخيرة التي استهلكها هذا الأسطول كان مقدارها جسيما حتى أن المدرعات الكبيرة كانت في آخر النهار قد استنفدت ذخيرتها ولولا وصول النقالة همبر Humber في غد ذلك اليوم مشحونة بالذخيرة لتعثر على معظم سفن الأسطول الاستمرار في الضرب .

وهاك ما استهلكه الأسطول من أنواع الذخائر :-

٢١٩٨	من قذائف المدافع الكبيرة
٧١٠٠	من مظاريف مدافع السربند (متريلوز جاتنج)
١٦٢٢٣	د د د نوردفيلت
١٠١٦٠	د د بنادق مارتيني هنرى
٣٧	د الصواريخ (السواريج)
١٣١٨٥٦	رطلا د البارود

أما مقدار ما نفذ من ذخيرة المصريين فقد تعثرت معرفته أيضا . ونورد هنا بعض الأخبار التي كانت تذيها جريدة الطائف لصاحبها عبد الله نديم عن ضرب الاسكندرية على سبيل المثال للأخبار التي كانت تنشر على المصريين عن هذه الحرب ، وهي :-

يوم الثلاثاء ٢٤ شعبان سنة ١٢٩٩هـ (١١ يولييه سنة ١٨٨٢م) في الساعة ١٢ عرية (الساعة ٧ افرنجية) صباحا اطلق الانكليز النار على حصون الاسكندرية فرددنا عليهم .

وفي الساعة ٢ عرية (الساعة ٩ افرنجية صباحا) غرقت مدرعة
أمام حصن الأطله .

وفي الساعة ٦ عريّة (الظهر) غرقت سفينتان بين قلعة
قايتباى وحصن العجمي .

وفي الساعة ٧½ عرية (الساعة ٢½ افرنجية مساء) غرقت سفينة
حرية من الخشب عليها ثمانية مدافع .

وفي الساعة ١٠ عرية (الساعة ٥ افرنجية مساء) أصيبت المدرعة
الكبيرة بقذيفة من قلعة قايتباى أنلفت بطارياتها فرفعت العلم الأبيض
إشارة إلى الكف عن اطلاق المدافع عليها . فامتنع الضرب من الجانبين
بعد أن استمر عشر ساعات متوالية . وتخربت بعض جدران الحصون
ولكنها أصلحت ليلا . والطلقات والقنابل التي اطلقت من الجانبين
بلغت نحو ستة آلاف وهذه أول مرة أطلق فيها عدد كبير من
المقذوفات مثل هذا في وقت قصير كهذا .

وما من جندي في العالم كان يستطيع أن يقف بثبات
في مركزه رابط الجأش أمام نار محترمة كما وقف المصريون أمام
نيران ٢٨ سفينة حرية مدة عشر ساعات .

هذه أمثلة من الأخبار التي كانت نذيعها هذه الجريدة .
وهي كلها مفتراة وبالأأسف ، وليس فيها مثقال ذرة من الصحة
اللهم إلا الفقرة الأخيرة .

التلف الذى حل بالحصون

١ - حصن السلسلة - قنف هذا الحصن المدرعة تمرير يوضع قذائف محكمة بينما كانت تهاجم قلعة قايتباى ولم تجاوبه المدرعة المذكورة . فبقى الحصن سليما بعد انتهاء القتال ولم يمس بسوء .

٢ - قلعة قايتباى - أصيبت واجبتها الشمالية الغربية إصابات شديدة من مقذوفات الاسطول . وتخربت حيطان ملاذها (كهفها) فى عدة مواضع . ودخلت بعض قذائف الاسطول من كوائها المعدة لاطلاق المدافع . وانفجرت فى داخل هذه القلعة فأوقعت أربعة من مدافعيها . وأتلفت ثلاثة مدافع أخرى بالانقراض التى سدت كوات هذه المدافع ووقعت حركة مدفع عيار ١٠ بوصات من مدافع بطارية الطبقة العليا من هذه القلعة بسبب انهيار أنقاض القصر العتيق الذى كان هذا المدفع مستندا إليه . وقلبت إحدى قنابل الاسطول مدفعا آخر عيار ٢٥ سنتيمترا من مدافع الطراز القديم .

أما الواجهة الغربية من هذه القلعة فقد دمرت عن آخرها وفتحت فيها ثغرة كبيرة كشفت المدافع وجعلتها فى العراء . فأصيب اثنان من هذه المدافع وأصبحا لا يصلحان للعمل .

ولم تشترك مدافع الواجهتين الشرقية والجنوبية فى القتال ، ولكن رغم ذلك سقط مدفعا من مدافع الواجهة الجنوبية بضربة جنبيه .

٣ - حصن الألاطة - لم تشترك واجبته الشمالية الشرقية

في القتال ولم تصب بضرر .

وقد أصيب أحد المتاريس المشرقة على واجهته الشمالية الغربية بنحو عشرين قذيفة ، منها اثنتا عشرة دخلت دخولا عميقا ولكنها لم تنفجر . والآخرى انفجرت انفجارا هائلا فأحدثت تلفا كبيرا . وأصيب فيه مدفع من طراز ارمسترونج عيار ١٠ بوصات بقذيفة فأقلب . وأصيب متراس آخر بقذيفتين أصابت أحدهما مدفعا من المدافع القديمة عيار ٢٥ ستمترا . واقلعت قنبلة مدفعا من بطاريته الوسطى . وبطلت حركة مدفع آخر بسبب انهيار انقاض منحدره العلوى القائم عليه السائر على أثر اصابته بقنبلة .

وأصيبت الواجهة الجنوبية منه بقذيفة مرت فوقه ففتحت ثغرة واسعة .

أما مستودع باروده الذى انفجر وكان انفجاره سيئا في اخلاء هذا الحصن فقد كان مقاما في موقع غير صالح ولم يكن تحيه أية وقاية .

٤ - حصن الاستبالية - أصيب هذا الحصن إصابات كثيرة فتخرب بناؤه في نواح عديدة وخصوصاً الناحية الشمالية ولكنه مع ذلك بقى يطلق مدافعه التي شوهد على أحدها بعد انقضاء المعركة أكثر من تسعة وأربعين أثرا من آثار قذيفات الشراينسل (وهي نوع من القذائف محشو بالرصاص) . وكان بعض

هذه الآثار بل كثير منها يزيد عمقه عن ستيمتر .

٥ - حصن رأس الثين - أصيبت بطاريتة الوسطى بقذائف كثيرة كان بينها سبع قذائف دخلت من كواته . وأصيب مدفع من مدافعه من طراز أرمسترونج عيار ١٠ بوصات بقذيفة حطمت محور عجلته فأُسي غير صالح للاستعمال . وأصيب مدفع آخر من طراز أرمسترونج عيار ٩ بوصات في قاعدته وصار أيضاً غير صالح للاستعمال لانهار أنقاض كوته .

وأصيبت بطاريات برجه بست قذائف دخلت من كواته وأصابها مدفعان من طراز أرمسترونج غير أنه بقي مع هذه الإصابة يوالى الضرب . وأصيب مدفع آخر من طراز أرمسترونج أيضاً بقذيفة انفجرت في وسط عجلته فصيرته غير صالح للاستعمال . وتفكك مدفعان من البطاريات الوسطى أحدهما حدث تفككه من رجوعه الى الخلف ، والآخر على أثر أصابه بقذيفة .

٦ - حصن الفنار - أصيبت الواجة الغربية منه بعطاب شديد من نيران الأسطول الخارجى . فقد أضمدت هذه الواجة بقذيفتين أحدثتا فيها ثغرة عرضها ٥.٥٠ م من الأمطار وعمقها ١.٥٠ م من الأمطار . وحفرت أربع قذائف ثقباً فطر استدارتها نحو ٢.٥٠ م من الأمطار . وصدمت أربع قذائف أخرى الكوات (المزاغل) . وأصابها قذيفة اطلقت في اتجاه منخفض ، فقه السائر فأطارتها على

طول ٣٦٠ من الأمتار . وحدثت أربع عشرة قذيفة أضراراً غير خطيرة . وانقلع مدفع على أثر تراجعه . وأصيب مدفعان من القذائف بعطب شديد وأمسيا غير صالحين للاستعمال فقد انفجرت قبلة تحت أحدهما فقلبت ، وحطمت أخرى أوتاد المدفع الثاني وقلبت أيضاً . وكف مدفع آخر عن الضرب على أثر تخريب كوته . وأصيب مدفع من طراز أرمسترونج بضربة عكسية صيرته غير صالح للاستعمال .

٧ - حصن صالح أغا - هاجت هذا الحصن الواقع في الداخل المدرعتان مونارك وبناب فترة يسيرة في آخر النهار وأصابت ستائره بأضرار طفيفة وتفكك مدفع قديم من مدافعه .

٨ - حصن أم قبيصة - قامت بمهاجمته المدرعة انفليكسيل وهي على بعد ٣٥٠٠ متر منه وقد عادت عليها مهاجمتها له بالفائدة إذ أصابته بثلاث عشرة قذيفة ألحقت به أضراراً جسيمة - صدمت اثنتان منها منحدر جدار الخندق الخارجى فألقت فيه كتلة من الألقاض تمكن الانسان من النزول فيه بسهولة . وصدمت اثنتان أخريان جدران الخندق من ناحية الحصن وفتحت كلتاهما ثقباً يمكن الدخول منه . واثنتان حفرتا عند انفجارهما الذى كان على عمق كبير في أرض الساتر ثقبوا قطرها ٥ أمتار وعمقها ١٥٠ من الأمتار . وصدمت اثنتان الساتر بالقرب من الكوات من جانب الطح وصيرت احدهما أحد المدافع غير صالح للاستعمال . وألحقت المنس القذائف

الأخرى بالحصن خسائر أقل جسامه كان من بينها أيضا حفرتان يتراوح قطر الواحدة منهما بين ٢ و ٣ أمتار وعمقها ١٥٠ من الأمتار ، كما أن الأحجار والأتربة التي ثرتها القذائف غطت المدافع وقصمت قنبلة مدفعا عيار ١٦ سنتيمترا نصفين . ومدفع آخر سقط عند نراجه .

ووجد في فناء هذا الحصن عدد كبير من المقذوفات لم ينفجر .

٩ - حصن المكس - تفكك مدفع من مدافعه المنصوبة حول برجه على أثر إصابته بقذيفة ، وسقط مدفع آخر عند تفجيره . وأصيبت بطاريته الوسطى المؤلفة من مدفعين ضخمين من طراز ارمسترونج بنحو اثنتي عشرة قذيفة . وأهم الخسائر التي أحدثتها هذه القذائف ثلاث حفائر قطر كل منها نحو ٣ أمتار . وأصيبت بطارياته الأخرى بضع المقذوفات . أما مبانيه القائمة في الخلف فهي التي لحقها التلف أكثر من غيرها من جراء ضرب السفن .

وكان داخل هذا الحصن بعد المعركة مفعيا بالأحجار . وإنه ليعتذر على المسره أن يدرك لَمْ لم يسقط مدفع مامن مدافعه في غضون المعركة رغم قصر المسافة التي كانت بينه وبين البوارج الحربية ورغم نيرانها الفتاكة التي أصلته بها . غير أن المدرعة بنلوب أسقطت بعد ذلك مدفعا واحدا فقط لم تتمكن من إصابته إلا في الطلقة الثالثة عشرة .

وأصبحت مدافعه الأخرى بشظايا المقذوفات فلم تلحق بها إلا أضرارا تافهة . وبعد جلاء جنوده عنه نزلت شُرْذمة من الجنود الانكليز إلى البر وممها أدوات النسف (طريد) ونسفت مدفعيه الضخمين وسمرت مدافعه الأخرى .

١٠ - قلعة المكس - أطلقت على حيطانه مقذوفات كثيرة العدد وقد تركت بها آثاراً وانفجرت احداها بالقرب من مؤخرة مدفع أرمسترونج وأصاب جنود المدفعية ولكن لم يحدث ضرر كبير للمدافع ولا للتحصينات .

١١ - حصن الدخيلة - لم ينله ضرر ما غير أن مدفعين من مدافعه انقلبا عند تقهقرهما . ومستودع البارود الذي كان خلفه أصيب بقذيفة ونسف كما ذكرنا ذلك آنفاً

١٢ - حصن المرباط - كانت مهمة ركنه الذي في الشمال الشرقي أن يقاوم السفينة كندور وسفن المدفعية . وقد أصيب منحدره بنحو عشرين قذيفة تركت فيه آثارها غير أن الاضرار التي حدثت كانت طفيفة . وأصاب واجهته الشمالية الشرقية بعض مقذوفات من السفن التي كانت في الخليج الداخلي كانت أكثرها من مقذوفات المدرعة موناك ولكن المدافع التي بهذه الواجهة لم ينلها ضرر . واشتعلت النار في بناية صغيرة بالقرب من مستودع كبير يتجاوز ارتفاعه ارتفاع سائر هذا الحصن به مقدار كبير من الذخيرة ولكن النار لم تمتد إليه . ووجد بفناء هذا الحصن عدد كبير من

المقنونات لم ينفجر .

١٣ - حصن العجمي - هذا الحصن لم يشترك في القتال .

خسائر الأسطول

١ - المدرعة سلطان - أصيبت بثلاث وعشرين قذيفة وكانت إصابات مدختها وسارياتها شديدة وأصابت بعض هذه القذائف زرعها (درعها) في موضعين وقد أحدثت واحدة منها في أسفل قطرة بطاريتها شرخا يبلغ ٥٤ سنتيمترا . واخترت قذيفتان أو ثلاث جدرانها غير المدرعة وكان عدد قتلاها اثنين وجرحاها ثلاثة .

٢ - المدرعة سورب - فاقت خسائر هذه المدرعة خسائر اخوانها . فقد أصيبت في جدرانها بعشر إصابات . واخترت قذيفتان درعها . وفي أحد مواضع اصابتها انزعت القذيفة عند انفجارها جزءا من درعها . وكذلك أصيبت مدختها .

٣ - المدرعة انشميل - أصيبت بثلاث عشرة قذيفة في جدرانها وآلاتها . واخترت ست منهن الجزء غير المدرع منها .

٤ - المدرعة الكسندرا - أصيبت بثلاثين إصابة في جدرانها وآلاتها . وأربع وعشرين إصابة اخترت جدرانها في أجزائها غير المدرعة فأحدثت بها اضرارا بالغة في القنطرة الداخلية وفي غرفها

وغيرها . وأصابها أيضا قذائف وقنابل كثيرة في الجزء المدرع منها ولكنها على كثرتها لم تحدث فيه ضررا يذكر . وتلف مدفعان من مدافعا دون أن يصابا من جراء كثرة استعمالهما في الضرب . أحدهما عيار ١٠ بوصات أو ٢٥ سنتيمترا ووزن ١٢ طنا والآخر عيار ١١ بوصة أو ٢٧ ١/٢ سنتيمترا ووزن ٢٥ طنا . أما خسائر جنودها فقتيل واحد وجريحان .

٥ - المدرعة بنلوب - سقط أحد مدافعا وجرح من جنودها اثنان .

٦ - المدرعة انفلكسيل - أصيبت بقنبلة في جزئها الخلفي (تحت خط الماء) من مدفع من طراز ارمسترونج عيار ١٠ بوصات وهو أكبر عيار في مدافع الحصون المصرية . وكادت هذه الإصابة تفرقها لولا اسعافها . وقد ذهبت بعد المعركة إلى مالطة لاصلاحها . ولم تذكر إصاباتها هذه في التقارير الرسمية التي قدمت للحكومة الانكليزية بل عمل عنها تقرير سري للأميرالية ولم يذع . وكانت خسائر جنودها قتيل واحد وجريحين .

* * *

تقارير الأميرال سيمور عن ضرب الحصون

وقد رفع الأميرال سيمور ثلاثة تقارير عن ضرب حصون الاسكندرية في ١٤ و ١٩ و ٢٠ يولييه سنة ١٨٨٢ . وهما هي : -

(١)

من ظهر البارحة اثنتي عشرة في ١٤ يولييه سنة ١٨٨٢

إلى سكرتير الأيرالية

سيدى

لى الشرف بأن التمس منكم أن تفضلوا وتجربوا اللوردات
مندوبى الأيرالية أتى لم آمكن فى هذا الوقت مع الأسف من
ارسال تقرير مفصل عن الهجوم على حصون الاسكندرية بسبب
انشغالى بهذه المهمة الشاقة .

انه بسبب اخفاق فى طلب الترضية عن المسائل التى كنت
كلفتم بطلبها من حكومة مصر ، هاجمت فى ١١ الجارى البطاريات
المنصوبة على واجهة الاسكندرية الشمالية والاستحكامات المقامة فى
الشمال الغربى ونجحت فى اسكات الحصون فى منتصف الساعة
السادسة مساء وهو الوقت الذى اعطيت فيه الاشارة بالكف عن الضرب .

وفى صباح يوم ١٢ ثانى يوم الضرب أمرت تمرير
وانفلكسكيل بأن تهاجم حصن فاروس . وبعد اطلاق مدفعين أو
ثلاثة رفع علم الهدنة على حصن رأس التين فأرسلت عندئذ
ضابط أركان الحرب الاونورايل هدورث لامبتن Hedworth Lambton
وكلفته باستجلاء السبب . ويؤخذ من تقريره أن كل ما فى
الأمر خديعة تافهة عملت لاكتساب الوقت بلا مراء . وبما أن

المفاوضات قد فشلت لأن طلي هو تسليم البطاريات الحارقة على بحر البوغاز - أطلق مدفع على سطح بطاريات ثكنات (قشلاقات) المكس . وعندئذ رفع علم الهدنة مرة أخرى . فأرسلت ضابط أركان الحرب المذكور ومعه القومندان مورسن Morrison إلى الميناء على ظهر السفينة ولكن . ولما ذهب إلى يخت الخديو (المحروسة) وجد أن طائفة هذا اليخت قد رحلت وعند إياها بعد دخول الليل أعلن أنه يعتقد أن المدينة أخليت من السكان .

وامس صباحا توغلت في الميناء على ظهر البارجة افنسميل ومعي المدرعتان بنلوپ ومونارك وأُنزلت إلى البر فرقة لتضع يدها على رأس التين .

وأراني متأسفا لاضطرارى أن أخبركم أن مدينة الاسكندرية أصيبت بأضرار بالغة من الحريق والنهب .

وفي الساعة الرابعة وهـ دقيقة بعد الظهر وصل سمو الخديو إلى سراى رأس التين وخصصت لحمايته ولاحتلال شبه الجزيرة سبعمائة بحار .

وفي العشية نزلت فرقة من البحارة إلى البر ومعهما مدفع من طراز جاتلينج Gatling فظهرت بعض الشوارع من العرب الذين كانوا يحرقون بيوتها وينهبونها .

ويجب على أن أعرب عن اعجابى الزائد بالسلوك الذى سلكه الضباط ورجال الاسطول عند تأدية مختلف مهامهم وأن

أثنى عليهم الثناء الجم . وأخص منهم بالذكر الكابتن ولتر هنت جرب
ربان المدرعة سلطان وهو أقدم الضباط وقائد الأسطول الخارجى
ولقد قاتل المصريون قتال الأبطال بأقدام ثابتة وكانوا
يهاويون النيران الشديدة التى تصبها على حصونهم مدافعنا الضخمة
الى أن قتل عدد كبير منهم .
وسأرسل عما قريب على قدر الامكان تقريراً مفصلاً
وأصحبه بصور المراسلات .

وتجدون حجة هذا بيانا بمدد القتلى والجرحى .

ولى الخ . . . ٩
يوشامب سيمور
أميرال ورئيس القواد

قائمة القتلى والجرحى فى هذا القتال

القتلى	الجرحى
عدد	عدد
١ انفلكسيل	٢ انفلكسيل
١ الكسندرا	٣ الكسندرا
١ سوپرب	١ سوپرب
١ سوپرب	٨ سلطان
٢ سلطان	٦ انفلكسيل
٥	٨ بنلوب
	٢٨
	٩ يوشامب سيمور

(٢)

من ظهر السفينة هلكن في ١٩ يولييه سنة ١٨٨٢

الى سكرتير الاميرالية

سيدى

لى الشرف أن ابث لكم بالتفصيلات الآتية ليحيط اللوردات
مندوبو الاميرالية بها علما .

انه عندما ورد لى تعريف (صورته طيه) من اللفتانت
سمث دورين Smith - Dorrien مضمونه أن مدفعين سينصبان عما
قريب فى حصن السلسلة ، أرسلت بلاغا الى قائد الاسكندرية
الحربى أعلته فيه بأنى سأضرب الحصون عند شروق شمس يوم ١١
إن لم تسل لى قبل هذا الوقت البطاريات المقامة على برزخ رأس التين
وساحل الاسكندرية الجنوبى لأعطلها وبهذه الوسيلة أكون قد
نفذت تعليمات اللوردات التى وردت الى فى ١٠ الجارى .

وفى الصباح المبكر من يوم ١١ شوهدت السفينة هلكن
متجهة نحو المدرعة اثنسييل التى كانت راسية فى ممر البوغاز ويخفق عليها
على . وفى منتصف الساعة السابعة صباحا أخبرت هلكن بالاشارات
أن على ظهرها ضباطا من المصريين يرغبون الاتصال بى . وقد
قدم هؤلاء الضباط إلى بارجتى وهم ياور درويش باشا واثنان من
المصريين وسلبونى خطابا من سعادة راغب باشا رئيس مجلس

النظار وناظر الخارجية (صورته طيه) يقول فيه انه مستعد لانزال ثلاثة مدافع فأخبرتهم أنه من المستحيل قبول مثل هذا الاقتراح وأرسلت إلى سعاده الرد بهذا المعنى (صورته طيه) .

ولما تيقنت أن الضباط وصلوا إلى البر آمنين أمرت بإطلاق النار على الحصون فأقى الرد حالا بشدة من خطوط المكس ومن البطاريات المنصوبة على الطوابى التي وراء الشموب التي بجانبى البوغاز ، ومن رأس التين ، ومن حصن الأمله وفاروس .

ولما ظفرت بإسكات الحصون فى منتصف الساعة السادسة مساء أعطيت الإشارة بالكف عن إطلاق النار .

وفى الصباح الباكر من يوم ١٢ بعد أن صوبت طلقتين أو ثلاثا على حصن فاروس رفع عليه علم الهدنة وعندئذ أرسلت ضابط أركان الحرب الاونورايل هدورث لامبتن الى الاسكندرية ليستطلع السبب فى رفع هذا العلم وزودنه بتعليقات (صورتها طيه) لغواها أن يطلب بالنيابة عنى تسليم البطاريات المطلة على بحر البوغاز . وتجهدون طيه اجابته التى لاتدع شكا فى أن الغرض الوحيد من ذلك لم يكن إلا حيلة لاكتساب الوقت . وعلى أثر ذلك نزلت الرابة .

وصوبت طلقة أخرى على المرتفعات القائمة عليها بطاريات مكبات المكس فارفع العلم مرة أخرى فأرسلت اللقنات هدورث لامبتن والقومندان مورسن من ضباط السفينة ولكن الى بخت

المحرومة الخاص بسمو الخديو فلم يثرا على أحد فيه وأعطيا إشارة بأن المدينة أخليت . ولما رجعت هلكن كان الليل قد أرخى سدوله . وعندما أشرقت شمس اليوم وأخذ الأسطول يتحرك دخلت الميناء فبينت أن النار كانت مشتعلة في مواضع شئ من المدينة ومن جعلتها سراى الحرم في قصر رأس التين وأن الجنود أدخلت الحصون . ووقما علت من مصدر يوثق به تمام الوثوق أن جنود عرابي لم تغل المدينة بل ذهبت للاقامة قرب عمود السوارى لتنتظرونا على مايقال هناك رأيت أن من واجباتي استعمال الحكمة فأزلت فصيلة من المدرعة افنسيل وأخرى من مونارك بقيادة الكابتن فيرفاكس Fairfax بقصد تسمير أو نسف المدافع المنصوبة بين القبارى وصالح وهى المدافع التى كانت تصوب طلقاتها على الميناء . وكان هذا العمل منى من الاحتياطات الاولى .

وفى خلال القيام بهذه الاحتياطات أرسلت سفن المدفعية الى المدرعات الراسية خارج الشعوب المجاورة لجانبى البوغاز لتستحضر منها عساكر البحرية فاحتلت سراى رأس التين نفسها وسمرت عددا كبيرا من المدافع التى كانت تسدد طلقاتها على سفنتنا . وقبيل هذا الوقت زارنى احمد توفيق اقتدى ياور سعادة درويش باشا وبمعيته أمير الالاي زهران بك ياور سمو الخديو وكان قادما من سراى الرمل الواقعة على بعد أربعة أميال تقريبا من الاسكندرية ليسألى إذا كنت مستعداً لأن آخذ على عاتق قبول الخديو لأن

الحالة تدعو الى الخوف على سلامته بسبب الاصابات الشائعة التي
تحيط به . فأظهرت في الحال استعدادى لبذل مايفيد سموه . وقيل
الساعة الرابعة مساء تشرفت باستقبال سموه عند باب السراى الى
لم تصب لحسن الحظ من نار السفن الا بضرب طفيف في يوم ١١ .

الامضاء

ولى الخ ... ٩

پوشامپ سيمور
أميرال ورئيس القواد

(٣)

من ظهر المدرعة انتميل بالاسكندرية في ٢٠ يولييه سنة ١٨٨٢
الى سكرتير الاميرالية .

سيدى

الحاقا لبيان المفصل والمؤرخ في ١٩ الجارى أشرف
بان أرفع لكم - لأحاطة اللوردات بما سيذكر بعد - تقررا آخر
أكثر تفصيلا من البيان المذكور الذى تيسر لى ارساله عن القتال
الذى دارت رحاه بين الأسطول الذى تحت قيادى والحصون المدافعة
عن الاسكندرية .

لقد سبق أن قررت كما يتبين من بيان ترتيب القتال
المصعوب بهذا والذي سلبت منه نسخة الى كل ربان أن أجمل المعجم
قسمين - قسم تقوم به سلطان ، وسورپ ، والكسندرا على جانب

رأس التين الشمالى وتعاونها فى ذلك المدرعة انفلكسيل التى كانت راسية فى مدخل عمر البوغاز الصغير بإطلاق مدافع برجها الخلقى حتى تستطيع بذلك اسكات بطاريات حصن الفنار من الجنب . والقسم الآخر تقوم به انفسيل ، ومونارك ، وبنلوب من داخل الشعوب وتعاونها فى ذلك الانفلكسيل بإطلاق مدافع برجها الامامى وكذلك المدرعة تمرر التى اتخذت مقرها بجوار الشمندورة التى بواسطتها يستدل على مدخل البوغاز .

وانفصلت كل من السفينتين هلكن وكندور لأنها كانتا من سفن الاعادة . أما السفن يكن ، وبترن ، وسينت ، ودكوى . فقد استخدمت حسب الاوامر التى كانت قد أصدرت إليها للأشارات طول يوم الضرب .

وفى يوم ١١ يوليه فى الساعة السابعة صباحا أمرت البارجة الكسندرا بالإشارة من ظهر انفسيل أن ترسل قذيفة إلى الستائر الحديثة التى كان قد تم إصلاحها وسلحت ويقال لها بطارية الاسبتالية وأردفت هذا الأمر بإشارة عامة إلى الاسطول أن هاجموا بطاريات الأعداء . فتبادل الضرب فى الحال بين السفن وهى فى المواقف التى رسمت لها وجميع الحصون المشرقة على مدخل ميناء الاسكندرية واستمر إطلاق النيران بشدة من الجانبين ومن كل صوب وناحية إلى منتصف الساعة الحادية عشرة صباحا . وكانت المدرعات سلطان وسوبرب ، والكسندرا إلى هذه الساعة رافعة مراسيها فألقتهما

في مياه حصن الفئار . وبقداتها المحكمة مع معاونة المدرعة انفلكسيل لها بعد أن رفعت مرسائها وانضمت إليها في منتصف الساعة الأولى بعد الظهر ، نجحت في اسكات معظم مدافع حصون رأس التين . ولكن بعض مدافع حصن الأطة الضخمة بقيت مستمرة في الضرب إلا أنه كان ضربا غير متواصل . وقيل منتصف الساعة الثانية قذفت المدرعة سورب - وكانت حركاتها من بعد الظهر موقفة جدا - قنبلة على هذا الحصن فنسفت مستودع باروده فاضطرت بقية حاميته إلى الانسحاب حالا . وعندئذ وجهت هذه المدرعات قوتها إلى حصن فاروس فأمكنه بعد أن انضمت إليها في منتصف الساعة الثالثة المدرعة تمرير وكان ذلك عندما قذفته المدرعة انفلكسيل بقذيفة أوقعت مدفا من مدافعه الضخمة .

وكانت حركات بطاريات حصن الاستبالية من البداية إلى النهاية تساس بطريقة موقفة جدا . ومع أن هذا الحصن أسكت وقتاً ما على أثر ضربه بقذيفة من المدرعة انفلكسيل فإن جنوده لم يتخلوا عن مدافعهم إلا بعد أن أكرههم نيران مدافع هذه المدرعة والأسطول الخارجى على التخلي عنها .

والمدرعة اثسبيل التي يخفق عليها على بمساعدة المدرعة بنلوب وكانت الاثنتان ملقيتين مراسيها غير أن الأخيرة غيرت مرساها في ظرف من الظروف . والمدرعة مونارك الطليقة داخل منطقة الشعوب . والمدرعتان انفلكسيل وتمرير الطليقتان في البوغاز ومدخل البوغاز الصغير ، قصد نجحت كل هذه المدرعات بعد اشتباكها في

قتال دام بضع ساعات في اسكات بطاريات خط المكس وتخريب جزء منها .

ودمر حصن مرسى القناة على أثر انفجار مستودع باروده وبعد قتال مع المدرعة مونارك دام نصف ساعة .

وفي الساعة الثانية بعد الظهر عندما شاهدت أن جنود مدفعية البطارية المنخفضة التي في الجهة الغربية من المكس تركوا مراقبهم وأنه من المحتمل أن يكون المساعدون انسحبوا إلى القلعة أحضرت السفن والمدفيعات وتحت حماية طلقات مدافعها أنزلت إلى البر فصيلة مؤلفة من اثني عشر من الجنود المتطوعين بقيادة اللفتنانت برادفورد Bradford من ضباط المدرعة انضسبل وبمعية اللفتنانت ريتشارد پور Richard poore من ضباط هذه المدرعة أيضا والفتنانت الاونورابل هدورث لامبتن ضابط اركان الحرب واللاجور تلك من الالاي ولش الذي بأركان حرب أميراليتي والاسبران مستر هاردي Hardy . وهؤلاء جميعا نزلوا في زوارق سارت بهم في وسط الأمواج وألقوا مدفين من نوع الششخان عيار ١٠ بوصات بالديناميت وسمروا ستة مدافع من الطراز القديم كانت مقامة بالجهة اليمنى من المكس . ثم رجعوا ولم يخسروا الا زورقا من زوارق السفينة بزق تحطم على الصخور . وهذا العمل يعد ضربا من المخاطرة ولكنه تم بمهارة فائقة .

وعند ما أضحى القتال عاما رأى القومندان لورد تشارلس برسفورد Lord Charles Beresford من ضباط السفينة كندور القائمة بوظيفة الاعادة أن مدفعين من مدافع حصن المرات من نوع الششخانة عيار ١٠ بوصات يصوبان قذائفها الى السفن المحاربة التي أمام حصن المكس فاقرب بسفينته الى المسافة التي يتمكن منها مدفعها الذي عياره ٧ بوصات ووزنه ٩٠ قنطارا من اصابة الرمي وحول حالا وجهة ضرب المدفعين المذكورين . فأمرته وقتئذ أن يستمد معونة السفن يكن ، وبترن ، وسينت . وكانت سينت اشتبكت قبل الظهر بقليل مع حصون رأس التين .

وأراني سعيدا اذ أخبرتم بأن هذه السفن لم تصب بأى ضرر وذلك بفضل ما أبدته من الماهرة في مناوراتها . وقد سوغ لها قصر غاطسها - من حسن الحظ - أن تتخذ لها موقعا أمام أضعف نقط بطاريات الحصون .

وانتهت الحرب بالقسوز في منتصف الساعة السادسة مساء وهو الوقت الذي لقت فيها السفن مراسيا لقضاء ليلها .

ولو استعمل كل مدفع من المدافع المتصوبة على خط التحصينات لكانت القوة التي صادمتا أشد هولا وأكثر رهبة . ولكن بطاريات رأس التين استخدمت قليلا من المدافع من الطراز القديم وأقل منها من المدافع الفرنسية عيار ٣٦ . وهذه المدافع مشتراة من عهد محمد علي لأن المصريين يؤثرون استعمال المدافع الانكليزية عيار

١٠ و ٩ و ٨ بوصات . وأيضا المدافع الانكليزية الصغيرة من طراز الششخانة . وهذه المدافع هى بالضبط نفس المدافع المسلحة بها سفن جلالة الملكة . ولا يمكن العثور على أفضل من هذه المدافع بين المدافع التى تعبأ من فوهاتها . وكانت المدافع المصرية مزودة بقذائف من أحدث طراز . واستخدمت ذخيرتها بكثرة لدرجة الاسراف . وكان تصويب المدافع يدعو الى الاعجاب ويمكن أن يقال ذلك أيضا عن مدافع خطوط المكس لولا أنها استخدمت أكثر المدافع من عيار ٣٦ ومدفعا أو اثنين من عيار ١٥ بوصة من طراز الششخانة فضلا عن المدافع التى من عيار ١٠ و ٩ بوصات والمدافع الصغيرة الششخانة . واستعمل حصن المراتب مدفعين من مدافع الششخانة ذات المرمى البعيد عيار ١٠ بوصات وكان كل واحد منها يرمى قذائفه تلو الآخر فى اتجاه الاسطول الراسى قريبا من الشاطئ . والمصطف بكيفية تدعو الى الاعجاب فتخطى المرمى بمسافة تتراوح بين ١٠ و ٣٠ ياردة .

ولم تنفجر أية قنبلة من القنابل التى قذفها بطاريات الجنوب على ظهر سفن صاحبة الجلالة فى خلال اليوم . وتجدون صحة هذا تقريرا رسميا مقدما من الكابتن هنت جرب قائد البارجة سلطان لعرضه على أصحاب السعادة الاميرالية . وقد تولى هذا الكابتن قيادة الاسطول الخارجى فقام بهذا العبء بكفاءة وجدارة تستوجب الاعجاب . فقد تلقى هذا الاسطول ويلات الحسب كما يؤيد ذلك تمام التأييد البيان

الذى مع هذا الخصاص بالأضرار التى لحقت المدرعات سلطان ، وسورب ، والكسندرا . وليس لدى ما أقوله عن الأضرار التى حلت بالمدرعة بنلوپ . فهذه البارجة انفصلت عن اسطولى بعد أمد قليل . والجزء العلوى من بناء المدرعتين انفكسيل وانفكسيل أصابه أكثر من قذيفة غير أنه لم يترتب على ذلك ضرر جسيم .

وأرأى عاجزاً عن أن أوفى جميع الضباط الذين قادوا السفن ما يستحقونه من المدح والتثناء على ما أولوني من المعونة فى هذه الظروف ويجب على أن أخص بالشكر الكابتن هنت جرب الذى قام بقيادة الأسطول الخارجى والذى أريد أن ألفت إليه أنظار أصحاب السعادة الأميرالية . ويسرنى أيضاً أن أشكر الكابتن ثوماس وورد Thomas Ward من ضباط المدرعة سورب والكابتن تشارلس هوثام Charles Hotham من ضباط المدرعة الكسندرا وكلا الاثنين تابع للأسطول الخارجى . والكابتن هنرى نكولسن Henry Nicholson من ضباط المدرعة تمير . وجون فشر John Fisher من المدرعة انفكسيل ، الذين أدوا خارج البوغاز الأعمال التى عاونوا بها الأسطول الواقف بجوار الساحل وساعدوا بعد ذلك على الهجوم الموجه نحو الشمال . والكابتن هنرى فيرفاكس Henry Fairfax من ضباط المدرعة مونتارك ، والكابتن سان جورج دارسى إرفين St. George D'Arcy Irvine من ضباط المدرعة بنلوپ ، وروبرت مورملنو Robert More Molyneux للسلك

الذى سلوكه فى تأدية واجباتهم على اختلافها .

والقومندانان جورج هاند George Hand أقدم الضباط الذين فى رتبته ومن ضباط ييكن . ولورد تشارلس برسفورد من ضباط السفينة كندور . وتوماس براند Thomas Brand من ضباط برن . والفتنانت هنج ريدر Hugh Ryder قومندان السفينة سينت . وهذا الضابط له فى الخدمة أكثر من ١٥ سنة . والفتنانت ارثر بلدرو Arthur Boldero قائد السفينة دكوى . وجميعهم ضباط جديرون كثيراً بالترقية . والمهمة التى أقيمت على عواتقهم قبل الحرب وبعد الحرب كانت شاقة جداً . إذ من المعلوم أنهم قاموا بالمواصلات بين السفن الواقعة داخل وخارج منطقة الصخور . وكثيراً ما كانوا يقومون بهذه الخدم فى جو مكفهر وفى أثناء الليل حيث تستدعى الحالة مزيد الانتباه فى المناورات والمعركة التامة بإدارة السفن .

كما يهيجنى أن أدلى باسم الفتنانت وليم مرسن William Morrison من ضباط السفينة هليكن . فلقد تعرض هذا الضابط أكثر من مرة لنيران بطاريات الشمال حينما كان يعيد الاشارات التى كنت أعطيها وهو على ظهر سفينة لم تب لأغراض حربية وعلى العموم أرى نفسى مدينأ لضباط وجنود الأسطول بوجه عام فانهم كلوا هذا الكفاح بالنصر وختموه ختاماً سريعاً . ولقد لفت نظرى بوجه خاص الكابتن هوثام من ضباط

المدرعة الكسندرا الى عمل مجيد قام به مستر امراثيل هاردنج
Israel Harding من جنود مدفعية الكسندرا . ذلك انه رفع قذيفة
ملتهبة عيار ١٠ بوصات اخترقت جنب السفينة وسكنت في القنطرة
الرئيسية ووضعتها في وعاء الماء ، الأمر الذي لولاه لكان من الجائز
أن تنفجر وتودي بحياة عدد كبير من الجنود . وقد لفت نظري
أيضا إلى سلوك القومندان الان توماس Alan Thomas من المدرعة
الكسندرا الجدير بالمدح والثناء طول هذا اليوم . وأنى لوائق كل
الوثوق بأن هذا الضابط وهسكنز Hoskins قومندان أركان حرب
السفينة التي يخفق عليها على . وهو الذي كتب عنه الكابتن
هنت جرب تقريرا . نعم . انى لوائق أن هذين الضابطين لايتأذنان
من غيابة الاضطراب عن هذه السفينة . وكالة الرايين يوجيمون
عبارات المدح المستطاب والثناء الجمل الى ضباطهم وإلى الملاحين
لحسن سلوكهم .

ويستحيل بالكلية أن أبين بالتفصيل الأضرار الطفيفة
التي حلت بسفن جلالة الملكة في خلال هذا الكفاح من القذائف
والطلفات التي أصابتها أو أفصل كذلك العطب الذي منى به جسم
البوراج سورب ، وسلطان ، والكسندرا ، ولاعطب المدرعات اثنتين
وبنلوپ ، وانفلكسيل الذي هو أقل أثرا من عطب الثلاث الأول
ولكنى أستطيع أن أعرب عن شديد أسنى لوفاة القتاتنات فرنسيس
جاكسن Francis Jackson ومستر وليم شنن William Shannon

نجار المدرعة انفلكسيل . ويؤخذ من الأخبار الأخيرة عن الجرحى أن حالتهم آخذة في التحسن وقد أرسلوا الى مالطة على ظهر الباخرة همبر .

. وتجندون صحة هذا قائمة بأسماء فضيلة المتطوعين التي قامت بتسمير مدافع بطاريات المكس وكذلك أسماء ملاحى الزوارق .

بطولة رجال المدفعية المصرية

لقد أبدى كل الذين كتبوا عن حادث ضرب الاسكندرية الأليم بالاجاع ثناءهم ، على رجال المدفعية المصرية لما أظهروه في ذلك اليوم من البسالة والشجاعة في كفاح قوة لاتناسب بينها وبينهم . واتفقوا على أن أشأ هنا أن أذكر في التنويه بفضلهم إلا ما ذكره شهود العيان ومن بينهم خصومهم الذين حضروا القتال وشهادة هؤلاء جميعا أوجه بالطبع من شهادة الذين لم يشهدوا هذه الحرب .

فلقد كان الانكباب يتخيرون قبل الدخول في هذه الحرب كما اعترفوا بذلك فيما بعد أن اسكات الحصون أمر هين لين . وهذا الاعتراف يهدم مخاوفهم على سفنهم من أساسها ، تلك المخاوف التي طالما ادعوها وتشبثوا بها . ولكن المقاومة التي لاقوها والثبات الذي أبداه جنود المدفعية المصرية في ملازمة مدافعهم واستماتتهم بجانبها كل هذا أدهشهم وجعلهم ينطقون بالرغم منهم بالمديح المستطاب والثناء العاطر على هؤلاء الجنود الأبطال .

وأبدأ هذه الشهادات بشهادة الأميرال سيمور نفسه الذى قال
فى تقريره المؤرخ فى يوم ١٤ يولييه سنة ١٨٨٢ للأميرالية البريطانية :-
لقد قاتل المصريون قتال الأبطال وثبتوا فى مواقعهم ثبات
الشجعان وكانوا يجاوبون التيران الشديدة التى كانت تصبها عليهم مدافعنا
الضخمة الى أن قفى بلا شك أكثرهم . ١٠ هـ

وقال القومندان هنت جرب قائد المدرعة سلطان
وقائد الأسطول الخارجى فى تقريره للأميرال سيمور :-

ولما وجدت أن الحصون أقوى مما كان يظن قبلا وأن جنود
المدفعية المصرية لا يسهان بهم وانهم فى الواقع يحكون الضرب ، رأيت من
الصواب أن التى المراسى لكى احصل على المسافة اللازمة بالدقة . ١٠ هـ

وقال القومندان جودريتش من رجال البحرية الامريكية الحربية
الذى كان على متن السفينة الحربية الامريكية لانكاستر Lancaster ورأى
كل ماحدث بعيني رأسه فى تقريره ص ٣٦ :-

وجاوب المصريون رغم التفاوت الذى كان بينهما من ناحية
العدد ومن ناحية عيار المدافع على التيران المتدفقة من أفواه مدافع
الاسطول الانكليزى اجابة مدهشة لم تكن متوقعة بتاتا بشجاعة
تستوجب الاعجاب . وعندما كانت المدرعة انفلكسيل ترسل
مقذوفات زنة كل منها ١٧٠٠ رطل على حصن القنار وتصيب سائر
قشير الانقاض والأثرية الى علو القنار نفسه ويتخيل المرء عند ما

يرى ذلك أنه ليس في الامكان أن يعيش أى انسان تحت نيران
كهنه النيران ، لا يلبث بعد بضع دقائق عندما ينقشع الغبار
أن يرى جنود المدفعية المصرية ملازمين مواقفهم يطلقون قذاتهم على
خصمهم الرهيب . ٥١

وقال الماجور ثلك من رجال قلم المخابرات (وترقى الآن الى جنرال)
وكان على ظهر المدرعة افنسييل فى كتابه (ذكريات أربعين عاما
فى الخدمة) ص ٢٨٦ :-

وبعد أن نزلت الى البر بزمان يسير طفت حول البطاريات
التي بقرب رأس التين فوجدت منظر البعض منها ينفطر منه الفؤاد
وسمعت فيما بعد من مصدر وثيق أن الخسائر فى الارواح من
جنود المدفعية ومن جنود القيادة الذين كانوا خلف الحصون
بلغت أكثر من ثمانمائة . وقد وسقت بالقتلى العربات فى أثناء
القتال . ولكن لما كان عدد القتلى فى نهاية الحرب كبيرا جدا
فتحت لهم حفرة واسعة فى رأس التين وألقيت أجسادهم فيها ثم
ووريت فى التراب . ومع هذه المواراة يستطيع الانسان فى عدة
مواضع من هذه المقبرة أن يرى الطبقة العليا من هذه
الأجساد ظاهرة على وجه الأرض . وقد سقط سائر الحصن
على بعض الجنود فأزهق أرواحهم وبقيت أجسادهم تحت الانقاض
دون أن يستطيع أحد اخراجها . ووجدت جثة ضابط مصرى
وجث ستة من الجنود المصرية البواسل تحت مدفع انقلب بقذيفة .

وعندى أنه لا يستطيع الا القليل من الناس أن يؤدوا واجباتهم مثل ما أداها أولئك الجنود الذين كانوا فى الحصون فى ذلك اليوم . وليس فى مقدور الانسان أن يخفى دهشته وإعجابه من أن هؤلاء الجنود فى الحالة التى كانت فيها النيران تحيـفهم من كل جهة أرادوا أن يرفعوا أحد المدافع من سقطته التى سقطها . وفى حالة أخرى وهم فى معمة القتال حاولوا أن يرجعوا مدفعها الى موضعه وهم تحت وابل من النيران .

وفى المكس كان يوجد سائر من الرمال سميك توارى خلفه جنود المدفعية ولكن على طول امتداد البطاريات الشرقية لم يكن يوجد إلا سائر عتيقة من الأحجار فى قليل من المواضع ، والأقاض التى تقوض منها لا بد أن تكون قد أحدثت خسائر جسيمة فى الأرواح . ٥١ .

وقال البارون دكيوزل بك Le Baron De Kusel Bey وكيل مصلحة الجمارك المصرية الذى كان على السفينة تنجور أمام الاسكندرية فى كتابه (ذكريات رجل انكليزى عن مصر) ص ٢٠٠ :-

لقد ثبت جنود المدفعية المصرية فى مواقعهم أمام نيران المدرعات الانكليزية الهائلة الفتاكة ثباتا دل على بسالتهم وبطولتهم . وظلوا يلقون القنابل باستمرار فتصيب أهدافها من هذه البوارج . الى أن قال فى هذه الصفحة أيضا - وليست المسألة مسألة رية فى بطولة الجنود المصرية فلقد قاتلوا مستبسلين ، ولكن لم يكن لهم الا المام التام بسلاحهم ليجتوا من دفاعهم ولو بعض النجاح .

ولم ينقض الضرب إلا في منتصف الساعة الثانية عشرة صباحا (أى من يوم ١٢ يولييه) لأن المصريين اذا كان لديهم مدفع فى أى موضع لم يكن قد سقط ، استعملوه إلى أن يكره هذا المدفع على السكوت إكراها . ٥١

* * *

وقال مسيو سكوتيدس Scotidis وكيل قنصل اليونان فى الاسكندرية فى كتابه (مصر المعاصرة وعربى باشا) ص ١٦٨ و ١٦٩ :-

وعند الطلقة الخامسة جاوبت بطاريات البر بنشاط وإحكام أدهشا الانكليز . وتقدمت البوارج الانكليزية ، تلك المدرعات الضخمة ، تسير ببطء وانخذلت لها موقفا أمام الحصون وصوبت اليها نيران مدافعها فى مركز واحد . وقد كانت قذائفها الهائلة تدعو الى الظن بأنها ستدمرها تدميرا . ولقد كانت هذه القذائف تحطم المدافع الضخمة وتقلب قواعدها وتنسف مستودعات البارود وتحفر حفرا يقع فيها المصريون التعساء . وعندئذ تقرب شيئا فشيئا لتضعف قوة هؤلاء المصريين بتقويض حصونهم بطوفان من قذائف مدافع السربند المقامة على ساريات السفن .

وكانت قذائف المدافع المصرية تسقط فى البحر وهى فى منتصف الطريق فتثير عجاج الماء . والبعض الآخر يصطدم بمدافع الانكليز الضخمة فيرتد عنها كأنها جسم من المطاط ويفوص فى

البحر . ومع هذا فلا ينبغي الا الاعجاب بما أبداه جنود المدفعية المصرية من البطولة والبسالة والثبات في مواقعهم ورناء أولئك الضحايا الذين راحوا طعمة للنار بطيش عرابي ورعوته وبجرأته التي أظهرها عبثا . وكان معظم الحصون بلا ستر فقلت القنابل من مدافعا ما كان أكثر قوة وأعظم خطرا وأحاطتها بالثبات من جيش القتلى . وفي خلال انتشار الدخان الكثيف الذي يسوقه النسيم في بعض الاوقات كان هؤلاء الجنود الشجعان الذين كانوا يستطيعون أن يخدموا وطنهم في ظروف أخرى ، يمثلون بحق الأبطال الذين يدفعون غارات الجبابرة . ١٥

هذه شهادات كلها صادرة من شهود عيان معظمهم من الخصوم وانها لأقوى برهان على أن ضباط وجنود الجي ألاى طوبجية سواحل قاموا في ذلك اليوم الأسود المشنوم بما هو فوق الواجب فاستحقوا بذلك أكبر التقدير مع تخليد الذكر وعظيم الشكر . رحمهم الله وعزانا وعزى هذا الوطن الأسيف فيهم .

وإزاء ما قام به هذا الألاى من ضروب الشجاعة والأقدام والأخلاص للوطن لدرجة التضحية بأخر أنفاسه في سبيل الذود عن حياضه ، رأينا تخليداً لذكرى أعمال ضباطه وجنوده المجيدة أن نثبت أسماء من عثرنا على أسمائهم منهم مع ذكر عددهم جميعاً في الجدول الآتي ، وما هو كما استخرجناه من دفاتر دار المحفوظات المصرية :

۱ جی الای طوبجیة سواحل

عدد	الاسماء	الرتب
۱	اسماعيل بك صبرى	أمیر الالای
۱	محمد بك نسیم	قائمقام الالای
۱	عبد المال افندی ابو العلا	۱ جی بکباشی
۱	سیف النصر افندی	۲ جی د
۱	محمد افندی شری	۳ جی د
۱	رافت افندی سرى	۱ جی صاغ
۱	صبیح افندی هاشم	۲ جی د
۱	محمد افندی رفعت	۳ جی د
۸		

أركان حرب وأطباء وكتاب وغيرهم

عدد		
۱	محمد افندی سيد احمد	صاغ
۱	ابراهيم افندی كامل	د
۱	محمد افندی نافعى	حكيمباشی الالای
۱	محمد افندی لمعى	ملازم اول اجرجى
۱	محمد افندی حسب الله	د ثان تعليمجى الاشارة
۱	محمد افندی محمد	کاتب اول الالای
۶		
۸		

عدد	مآبلة	٨
عدد		
٦	مآبلة (تابع أركان الحرب وغيرهم)	
	الاسماء	
	الرتب	
١	رضوان افندى رضوان	كاتب ثانى الألاى
١	مصطفى افندى الخولى	د ثالث
١	موسى افندى الوردانى	د رابع
١	فرج افندى حوض	د الأشغال المتأخرة
١	الشيخ محمد عبد المال	امام وخوجه
١	الشيخ عبد الله ابراهيم	امام
١٥	٣ توفجيه	
	بلوك	
عدد		
١	مصطفى افندى عتار	يوزباشى
١	احمد افندى قنديل	ملازم اول
١	حسن افندى مكى	د ثان
١	اسماعيل افندى صبرى	د
١٢٩	١٣٥ صف ضباط وعساكر	
	مذكورون بدون تفصيل	
عدد		
٨٤	٨٤ صف ضباط وعساكر	
		٣٣٩

عدد	مقابلہ	بلوک
۲۳۶		عدد
	الاسماء	الرتب
۱	علی افندی بہجت	یوزباشی
۱	محمد افندی حامد	ملازم اول
۱	محمود افندی خلیل	د ثان
۱	محمد افندی حلی	د د
۱	محمد افندی عبد الخالق	صول
۱۳۲	۱۲۷ صف ضباط وعساکر	
	مذکورون بدون تفصیل	
عدد		
۹۹	۹۹ صف ضباط وعساکر	
	بلوک	
عدد		
۱	احمد افندی فہمی	یوزباشی
۱	محمد افندی الموجی	یوزباشی
۱	دھشان افندی عزمی	ملازم اول
۱	سلیم افندی صائب	د د
۱	غنیف افندی مہمد	د ثان
۱۸۱	۱۷۶ صف ضباط وعساکر	
۶۴۸		

	عدد	۶۴۸	ماقبله
	عدد	۵۲	مذكورون بدون تفصيل
	عدد	۵۲	انفار
	عدد	۱۱۳	بلوك
الرتب	الاسماء		
یوزباشی	عبد الحمید افندی الجندی	۱	
ملازم اول	محمد افندی امین	۱	
"	احمد افندی هادی	۱	
"	سلیمان افندی بهجت	۱	
ثان	صف ضباط وعساكر	۱۱۳	
	مذكورون بدون تفصيل	۱۱۷	
	عدد	۷۶	انفار
	عدد	۷۶	بلوك
	عدد		
یوزباشی	عبد الرحمن افندی نجیب	۱	
ملازم اول	محمد افندی نایل	۱	
"	عبد الرحمن افندی الشافعی	۱	
"	عمود افندی رضی	۱	
ثان	احمد افندی کامل	۱	
"	علی افندی خضر	۱	
مول	صف ضباط وعساكر	۱۳۵	
		۱۴۱	
		۱۰۳۴	

	عدد	۱۰۳۴	ماقبله
	عدد	۸۰	مذکورون بدون تفصیل
	عدد	۸۰	انفار
	عدد	۸۰	بلوک
الرتب	الاسماء	عدد	
یوزباشی	یوسف افندی صفوت	۱	
یوزباشی	حسانین افندی زغول	۱	
ملازم اول	عرفه افندی احمد	۱	
" "	ابراہیم افندی مسلم	۱	
ملازم ثان	عبد القادر افندی خیری	۱	
	۱۰۲۱۰۷ صف ضباط و عساکر		
	مذکورون بدون تفصیل		
	عدد	۹۴	۹۴ صف ضباط و عساکر
	عدد	۹۴	بلوک
	عدد	۱	علی افندی فہمی
یوزباشی	عمار افندی عوفی	۱	
ملازم اول	یوسف افندی سری	۱	
ملازم "	احمد افندی فضلی	۱	
" ثان	محمد افندی علی	۱	
" "			

۵

عدد

١٣١٥ ماقبله

عدد

٥ ماقبله

١٥٥ ١٥٠ صف ضباط وعساكر

مذكورون بدون تفصيل

عدد

٣١ ٣١ أفتار

بلوك

عدد

١	مصطفى افندى حسين	يوزباشى
١	حسانين افندى زغلول	ملازم اول
١	ابراهيم افندى مسلم	د
١	عدوى افندى حلى	د
١	حسن افندى أنيس	د ثان

١٦٦ ١٦١ صف ضباط وعساكر

مذكورون بدون تفصيل

عدد

٦٣ ٦٣ صف ضباط وعساكر

صناعية يبلوك العماره

عدد

٣٣ ٣٣ صف ضباط وعساكر

١٧٦٣ المجموع الكلى

واليك نبذا صغيرة عن بعض ضباط هذا الألاى الذين
أمكننا معرفة شئ عنهم تثبتنا هنا طمعا فى أن يطلع عليها المطلعون
فيوافونا بما يكمل تاريخ حياتهم وتاريخ حياة من لم نعرف عنهم
شيئا ولم نذكر عنهم نبذا :- . . .

١ - أمير الألاى اسماعيل بك صبرى

حضر حرب الحبشة سنة ١٨٧٥م ، وحرب روسيا
سنة ١٨٧٧ و سنة ١٨٧٨ م . ثم حضر ضرب مدينة الاسكندرية
فى ١١ يولى سنة ١٨٨٢ م .

٢ - القائمقام محمد بك نسيم

هو والد صاحب الدولة توفيق باشا نسيم . حضر حرب الحبشة
سنة ١٨٧٥ م ، وحرب روسيا سنة ١٨٧٧ و سنة ١٨٧٨ م . ثم
حضر ضرب مدينة الاسكندرية فى ١١ يولى سنة ١٨٨٢ م . وترقى
بعد الاحتلال الى رتبة أمير ألاى . وأحيل الى المعاش بناء على
طلبه . ثم أنعم عليه برتبة الباشوية .

٣ - البكباشى سيف النصر افندى

هو والد صاحب العزة حمدى بك سيف النصر . حضر
ضرب مدينة الاسكندرية فى ١١ يولى سنة ١٨٨٢ م وترقى بعد
الاحتلال الى رتبة قائمقام . وتوفى فى الخنمة وهو رئيس قرعة مدينة
الاسكندرية .

٤ - الملازم الثاني احمد افندى فضلى

كان من أنجب تلاميذ المدرسة الحرية التى كانت تحت إدارة الجنرال لارى باشا الفرنسى فى عهد الخديو اسماعيل وحضر ضرب مدينة الاسكندرية فى ١١ يوليه سنة ١٨٨٢ . وبعد الضرب وانسحاب جنود عرابى منها ، عين فى فرقة كفر الدوار . فصب الجنود الانكليزية مدافعهم فوق الجبل المجاور لخزان الماء بالقرب من أبى النواتير . ويقال ان الخديو توفيق كان قد توجه الى تلك الجهة ليرى من فوق هذا الجبل خط نار العرايين الذى كان بجبهة عزبة خورشيد . فعندما أبصر احمد افندى فضلى بمنظاره تجمعهم فوق الجبل المذكور وكان لا يعلم بوجود الخديو معهم ، أطلق عليهم قنبلة من مدفع كروب وقعت بجوار الخديو توفيق ولكنها لم تنفجر . وقد رُق بعد الاحتلال الى رتبة لواء ثم أحيل الى المعاش وهو فى منصب مدير عموم القرعة .

٥ - الملازم الأول محمد افندى لمعى

هو ابن الشيخ عبد الله البوهي ابن الشيخ ابراهيم البوهي إمام المقفور له سعيد باشا الى مصر . تعلم بقسم الصيدلة بمدرسة الطب بقصر العيني وتخرج منه والتحق صيدليا بالجيش إلى أن جاءت الحوادث العراية فكان ملازما أول وصيدليا أول فى ١ جى ألاي

طوبجية سواحيل الذى دافع عن حصون الاسكندرية يوم ١١ يولييه
سنة ١٨٨٢ . وقد نجح من الموت وبقي بالجيش الى أن كانت
حوادث السودان وثورة المهدي . فارسل الى السودان صيدليا باحدى
الالابات المصرية . ولما تغلب المهدي على السودان انقطعت
أخباره عن ذويه . ومن ذلك الحين لم يتلقوا عنه خبرا إلى أن
فتح السودان . وقد تحققوا بعد ذلك انه قتل مع من قتل من
المصريين بعد تغلب المهديين على السودان . وقد ترك من الذرية
ولدا واحدا كان يسمى ابراهيم محمد لمعى توفي وهو قى لم يبلغ
مبلغ الرجال .



فهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣ - ٤
حصون مدينة الاسكندرية	٥ - ٣٦
١ - الحصون من قبل الفتح الاسلامى الى حكم المماليك	٥ - ١٢
٢ - الحصون فى أواخر حكم المماليك الجراكسة	١٢
٣ - الحصون قبل حكم محمد على	١٢ - ٣٣
سور العرب وتخطيطه وأبراجه	١٣ - ٢١
الجهة الشمالية منه	١٣ - ١٤
الجهة الشرقية منه	١٤
الجهة الجنوبية منه	١٤ - ١٥
الجهة الغربية منه	١٥ - ١٦
جزء من الاسكندرية كان خارج السور وواقعا فى شماله	١٦ - ١٧
وصف السور ووصف أبراجه وقت مجىء الحملة الفرنسية	١٧ - ٢٠
تعليق على هذا الوصف	٢٠ - ٢٢
الحصون التى كانت بالاسكندرية عند مجىء	٢١ - ٢٢
الحملة الفرنسية	
الحصون والبطاريات التى أقامها فيها الفرنسيون	٢٢ - ٢٣

الصفحة	الموضوع
٢٣ - ٣٠	٤ - الحصون في حكم محمد علي
٢٤	جدول بيان الحصون وتسليحها في هذا العهد
٢٥ - ٢٦	زيادة هذه الحصون في أواخر عهد محمد علي
	وقائمة بأسمائها وبالمدافع التي سلحت بها
٢٧ - ٣٠	بيان هذه الحصون ومواقعها
٣١	٥ - الحصون في حكم إبراهيم باشا
٣١ - ٣٥	٦ - الحصون في حكم عباس الأول
٣٥	٧ - الحصون في حكم سعيد باشا
٣٥ - ٣٦	٨ - الحصون في حكم الخديو اسماعيل
٣٦	المدافع الحديثة التي ابتاعها الخديو اسماعيل لتسليح هذه الحصون
	بها وعددها وعيارها
٣٧ - ٤٦	موازنة بين هذه الحصون والأسطول البريطاني
٣٧ - ٣٩	وصف هذه الحصون وحالة تسليحها
٣٩ - ٤٠	حصون ساحل الاسكندرية التي كانت معرضة للأسطول
	وقائمة بأسمائها والمدافع التي كانت بها
٤١	المدافع التي نقلت الى بعض هذه الحصون
٤١ - ٤٢	عدم جدوى المدافع القديمة والمدافع الصغيرة الحديثة
	في هذه الحرب والبرهان على ذلك
٤٢ - ٤٤	الاسطول البريطاني وقطعه الحربية
٤٣	قائمة بأسماء قطعه والمدافع التي كانت مسلحة بها

الصفحة	الموضوع
٤٤	زنة مدافعها التي عيار ١٦ بوصة
٤٤ - ٤٦	الموازنة بين السلاحين
٤٤	قائمة بعدد مدافع الحصون من ذات العيار الواسع وعيارها وزنها
٤٥	قائمة بعدد مدافع الاسطول من هذا العيار وعيارها وزنها
٤٥ - ٤٦	امتياز الاسطول على الحصون
٤٦	حامية الحصون
٤٦ - ٧٨	الحوادث التي سبقت الضرب والمكاثبات الرسمية التي تبودلت قبله
٤٧	برقية من الاميرال سيمور الى الاميرالية البريطانية .
٤٨	برقية من مستر كارترايت نائب قنصل جنرال إنجلترا بمصر الى لورد جرافيل وزير خارجيتها
٤٨	برقية من الاميرالية الانكليزية للاميرال سيمور . . .
٤٩	برقية من الاميرال سيمور الى الاميرالية البريطانية .
٤٩ - ٥٠	قرار مجلس وزراء فرنسا بعدم مشاركة الاسطول الفرنسي للأسطول الانكليزي في الضرب
٥٠ - ٥١	برقية من مستر كارترايت الى لورد جرافيل
٥١	برقية من الاميرال سيمور الى الاميرالية البريطانية .
٥٢	مذكرة من قناصل الدول بالاسكندرية الى الاميرال سيمور .

الصفحة	الموضوع
٥٣ - ٥٤	الاجابة عليها من الاميرال سيمور
٥٤	تعليق على المذكرة والاجابة
٥٤ - ٥٥	بلاغ الاميرال الى قائد الاسكندرية الحربى
٥٥	رد القائد الحربى على هذا البلاغ
٥٥ - ٥٦	برقية الخديو توفيق للباب العالى
٥٧	برقية من الاميرال سيمور الى الاميرالية البريطانية
٥٧ - ٥٨	د . د . مستر كارتر ايت الى وزير الخارجية البريطانية
٥٨	تعليق على هذه البرقية وأشارة الانكليز على الخديو
	بالنزول فى احدى يوارجهم وإجابته بالرفض
٥٨ - ٦٠	برقية من مستر كارتر ايت الى لورد جراڤيل
٦٠	رد لورد جراڤيل عليه بريقة أخرى
٦٠	تعليق على مشورة الانكليز على الخديو وعلى اجابته
٦١	مذكرة من مستر كارتر ايت لقناصل الدول الجنرالية بالاسكندرية
٦١ - ٦٢	خطاب منه الى المشير درويش باشا
٦٢ - ٦٤	جواب المشير درويش باشا على هذا الخطاب
٦٤	رسالة الاميرال سيمور الى قائد الاسكندرية الحربى
٦٥	دعوى الانكليز الخوف على أسطولهم من الحصون
	وقيمتها من الواقع والحقيقة
٦٥	شهادة رجل انكليزى ضد هذه الدعوى
٦٥	تعليق على هذه الشهادة

الموضوع

الصفحة

- خطاب من مسر كارترايت الى راغب باشا ٦٥ - ٦٦
- طلب راغب باشا من قنصل ايطاليا التوسط في اجتماعه ٦٦
- بسفراء الدول
- نصح سفير ايطاليا لراغب باشا بمقابلة الاميرال سيمور بنفسه ٦٦ - ٦٧
- مقابله وتلقى الانذار النهائي منه ٦٧
- مساعيه لدى الاميرال في تلطيف شروطه ٦٧
- عقد جلسة غير عادية من الخديو والوزراء والأعيان ٦٧ - ٦٨
- الخ . . . لفحص الموقف
- ما قاله المشير درويش باشا في هذه الجلسة ٦٨
- رأى مرعشلى باشا وقطعة من تقريره ٦٨ - ٧٣
- رواية أخرى عما قيل في هذا الاجتماع ٧٣ - ٧٤
- رد الحكومة المصرية على انذار الاميرال ٧٤ - ٧٥
- خطاب من راغب باشا الى الاميرال سيمور ٧٥ - ٧٦
- رد الاميرال على هذا الخطاب ٧٧
- برقية من لورد جرانفيل الى سفراء انجلترا لدى الدول ٧٧ - ٧٨
- برقية أخرى منه الى لورد دوفرين سفير انجلترا لدى الدولة العلية ٧٨
- تعليق على هذه البرقية ٧٨ - ٧٩
- الوسائل التي كان يمكن بها الخروج من هذا المأزق ٧٩ - ٨٠
- الوسيلة الأولى ٧٩
- الوسيلة الثانية ٧٩ - ٨٠

٨٢ - ٨٠	مواقع الحصون من موقف الأسطول
٨٠	خريطة حصون الاسكندرية وقطع الاسطول البريطانى .. بعد
٨١ - ٨٠	مناطق الحصون
٨٢ - ٨١	مواقف الاسطول الانكليزى
٨١	انقسام مدرعات الاسطول الكبيرة إلى قسمين . .
٨١	القسم الأول - الاسطول الخارجى
٨١	القسم الثانى - الاسطول الداخلى
٨٢ - ٨١	موقف سفن الاسطول الصغيرة
٨٢	الخطة التى رسمت لقسمى الاسطول ونتيجتها
٨٢	جدول يبين النسبة بين قوة الحصون وقوة الاسطول
٨٣	ماقاله القومندان جودريتش عن هذه الموازنة
٨٦ - ٨٣	حامية الاسكندرية
٨٦ - ٨٤	وحدات هذه الحامية
٩٢ - ٨٦	استعدادات القوتين المتحاربتين قبل الضرب
٨٧	أوامر عرابى باشا للطويحية
٨٨	أوامره للشاة
٩٢ - ٨٨	أوامر الاميرال سيمور لقواد بوارجه وضباطها . .
٩٣ - ٩٢	تعليق على أوامر الاميرال واستنتاج
٩٤ - ٩٣	البداية بالضرب
٩٧ - ٩٤	حركات الاسطول الخارجى

الموضوع

الصفحة

مقاله القومندان جودريتش عن جنود المدفعية المصرية . . .	٩٥ - ٩٦
شهادة الكاتب ولتر جودسول لجنود مدفعية حصن الأطة وقائدهم	٩٦ - ٩٧
حركات الأسطول الداخلى	٩٨ - ١٠٠
شهادة الماچور تلك لجنود مدفعية حصن المكس . . .	٩٩
خسائر الانكليز من القتل والجرحى	١٠٠
ما استهلكه الأسطول من الذخائر	١٠١
الأخبار التي كانت تذييعها جريدة الطائف	١٠١ - ١٠٢
تعليق عليها	١٠٢
التلف الذي حل بالحصون	١٠٣ - ١٠٩
حصن السلسلة	١٠٣
قلعة قايتباى	١٠٣
حصن الأطة	١٠٣ - ١٠٤
الامبتالية	١٠٤ - ١٠٥
رأس التين	١٠٥
الفنار	١٠٥ - ١٠٦
صالح أغا	١٠٦
أم قبيسة	١٠٦ - ١٠٧
المكس	١٠٧ - ١٠٨
قلعة المكس	١٠٨

١٠٨	حسن الدخيلة
١٠٩-١٠٨	د الم رابط
١٠٩	د العجمي
١١٠-١٠٩	خسائر الأسطول
١٠٩	المدركة سلطان
١٠٩	المدركة سوپرب
١٠٩	المدركة افليميل
١١٠-١٠٩	المدركة الكسندرا
١١٠	المدركة بنلوف
١١٠	المدركة افلكسيل
١٢٦-١١٠	تقارير الاميرال سيمور عن ضرب الحصون
١١٣-١١١	التقرير الأول
١١٣	قائمة الاميرال سيمور بمدد قتلى الأسطول وجرحاه
١١٧-١١٤	التقرير الثاني
١٢٦-١١٧	التقرير الثالث
١٣١-١٢٦	بطولة رجال المدفعية المصرية
١٢٧	شهادة الاميرال سيمور لهم
١٢٧	شهادة القومندان هنت جرب
١٢٨-١٢٧	شهادة القومندان جودريتش

شهادة الحاجور تُلْك	١٢٨-١٢٩
شهادة البارون دكيوزل	١٢٩-١٣٠
شهادة وكيل قنصل اليونان في الاسكندرية	١٣٠-١٣١
اثبات أسماء من عثرنا على أسمائهم من ضباط وجنود ١٣٧-١٣١	
١ جي ألاى طوبجيجة سواحل	
نبذ عن بعض ضباط هذا الألاى	١٣٨-١٤٠
رجاء المظلمين عليها بتكليفها وموافقتها بتاريخ حياة ١٣٨	
من لم نعرف تاريخهم	
أمير الألاى اسماعيل بك صبرى	١٣٨
القائمقام محمد بك نسيم	١٣٨
البكباشى سيف النصر افندى	١٣٨
الملازم الثانى احمد افندى فضلى	١٣٩
الملازم الأول محمد افندى لمى	١٣٩-١٤٠





Bibliotheca Alexandrina



0458145